

جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ | كانون الثاني سنة ١٩٢٢

الاخلاق الفاضلة

٤

الأمثال الأخلاقية التاريخية — وتلك الأمثال نضربها للناس

٥

الحسين عليه السلام وهو ابن الإمام علي بن ابي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله -- حج هو واخوه الحسن ماشيين فلم يمرا برجل راكب إلا نزل يمشي فقال بعضهم لسعد قد ثقل علينا المشي ولا نستحسن أن نركب وهذان السيدان يمشيان فرغب اليهما سعد في أن يركبا فقال الحسن لا نركب قد جعلنا على انفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على اقدامنا ولكنا نتنكب عن الطريق فأخذا جانبا من الناس. وحج الحسين خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد معه. ودخل على اسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول واغماه فقال له الحسين وماغمك يأخي قال ديني وهو ستون الف درهم فقال الحسين هو علي قال إني أخشى أن أموت فقال الحسين لن تموت حتى أقضيها عنك فقضاها قبل موته ووفد اعرابي إلى المدينة فسأل عن أكرم الناس بها فدُلَّ على الحسين فدخل

المسجد فوجده مصليا فوقف بازائه وأنشأ يقول

لم يخب الآن من رجاك ومن حرّك من دون بابك الحلقه
أنت جواد وانت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقه
لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقه

فسلم الحسين وقال ياقنبر هل بقي من مال الحجاز شيء قال نعم اربعة آلاف دينار قال هاتها قد جاء من هو احق بها منا ثم نزع بردته ولفّ الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياءاً من الاعرابي وأنشأ

خذها فإني اليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقه
لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفقه
لكن ريب الزمان ذو غير والكف مني قليلة النفقه

فأخذها الاعرابي وبكى فقال له لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن كيف يأكل التراب جودك

ومن لطيف ما روي عنه عليه السلام أن اعرابيا جاءه فقال يا ابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها فقلت في نفسي أسأل أكرم الناس وما رأيت اكرم من اهل بيت رسول الله فقال الحسين ياأخا العرب أسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال وإن أجبتك عن الكل أعطيتك الكل فقال الأعرابي ياابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي وأنت من أهل العلم والشرف فقال الحسين بلى سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول المعروف بقدر المعرفة فقال الأعرابي سل عما بدا لك فإن أجبت وإلا تعلمت منك ولا قوة إلا بالله فقال الحسين أي الأعمال أفضل ؟ فقال الأعرابي الإيمان بالله فقال الحسين فما النجاة من المهلكة ؟

فقال الأعرابي الثقة بالله فقال الحسين فما يزين الرجل فقال الأعرابي علم معه حلم فقال فإن أخطأه ذلك فقال مال معه مروءة فقال فإن أخطأه ذلك فقال فقر معه صبر فقال الحسين فإن أخطأه ذلك فقال الأعرابي فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فإنه أهل لذلك فضحك الحسين ورمى اليه بصرة فيها الف دينار واعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم وقال ياأعرابي أعط الذهب غرماءك واصرف الخاتم في نفقتك فأخذ الأعرابي ذلك وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته

وجنى غلام له جناية توجب العقاب فأمر بضربه فقال يامولاي والكاظمين الغيظ فقال خلوا عنه فقال يامولاي والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال يامولاي والله يحب المحسنين قال انت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت اعطيك

وقيل لعلي بن الحسين ما أقل ولد ابيك قال العجب كيف ولدت كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة[1]

٦

عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي العادل كان لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يجري على نفسه من الفيء درهما وكان عمر بن الخطاب يجري على نفسه من ذلك درهمين في كل يوم فقيل لعمر بن عبد العزيز لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب فقال إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالي يغنيني ولما ولي عمر بن عبد العزيز قام اليه رجل فقال ياأمير المؤمنين أعدني على هذا وأشار إلى رجل قال فبم قال أخذ مالي وضرب ظهري

(١) لواعج الأشجان ص ١٢ — ١٨

فدعا به عمر فقال ما يقول هذا قال صدق إنه كتب إليَّ الوليد بن عبد الملك وطاعتكم فريضة قال كذبت لا طاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله وأمر بالأرض فردت إلى صاحبها

وقال رياح بن عبيدة اشتريت لعمر قبل الخلافة مطرفاً بخمسمائة فاستخشنه وقال لقد اشتريته خشناً جدا واشتريت له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم فاستلانه وقال لقد اشتريته لينا جدا

وكان لعمر غلام يقال له درهم يحتطب له فقال له يوماً ما يقول الناس يادرهم قال وما يقولون؟ الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر قال وكيف ذلك قال إني عهدتك قبل الخلافة عطراً لبّاسا فاره المركب طيب الطعام فلما وليت رجوت أن استريح وأتخلص فزاد عملي شدة وصرت أنت في بلاء قال فأنت حر فاذهب عني ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجا [١]

٧

عبد الله المأمون الخليفة العباسي المشهور الذي أحيا العلم ونشر العدل حدث ابن حميد قال إني لواقف على المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان آخر من تقدم اليه وقدهمَّ بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون الى يحيى بن اكثم فقال لها يحيى وعليك السلام ياأمة الله تكلمي في حاجتك فقالت

ياخير منتصف يهدى له الرشد ويا إماما بـه قـد اشرق البلد
تشكو اليك عميد القوم ارملة عدا عليها فلم يـترك لها سبد

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٤ — ٢٤٥

وابتزّ مني ضياعي بعد منعتها ظلما وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه اليها وهو يقول

في دون ما قلت زال الصبر والجلد عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ننصفك منه والا المجلس الأحد

قال فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام أين الخصم فقالت الواقف على رأسك ياأمير المؤمنين وأومأت الى العباس ابنه فقال ياأحمد بن خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها احمد بن ابي خالد ياأمة الله إنك بين يدي أمير المؤمنين وإنك تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك فقال المأمون دعها ياأحمد فإن الحق انطقها وأخرسه ثم قضى لها برد ضيعتها اليها وظلّم العباس بظلمه لها وأمر بالكتاب لها الى العامل ببلدها أن يوغر لها ضيعتها ويحسن معاونتها وأمر لها بنفقة[1]

عبد الله بن المبارك العالم الزاهد المعروف لما قدم الرشيد الرقة انجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة فاشرفت أم ولد الرشيد من قصر الخشب فلما رأت الناس قالت من هذا قالوا عالم من أهل خراسان يقال له عبدالله بن المبارك فقالت هذا والله الملك لاملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرَط واعوان وروي أنه استعار قلما من الشام فعرض له سفر فسافر إلى انطاكية وكان قد نسي القلم معه فتذكره هناك فرجع من انطاكية الى الشام ماشيا حتى ردّ القلم إلى صاحبه

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٩

وكان يتجر ويقول لولا خمسة ماتجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية أي ليصلهم فقدم سنة فقيل له قد ولي ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشيء فأتى اليه ابن علية فلم يرفع رأسه إليه ثم كتب اليه ابن المبارك يقول

ياجاعل العلم له بازيا	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعد ما	كنت دواءاً للمجانين
اين رواياتك في سردها	لترك أبواب السلاطين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عوف وابن سيرين
إن قلت اكرهت فذا باطل	زلّ حمار العلم في الطين

فلما وقف اسماعيل بن علية على الأبيات ذهب الى الرشيد ولم يزل به إلى أن استعفاه من القضاء فأعفاه (١)

العدو والصديق

عدوك من صديقك مستفاد	فلا تستكثرنّ من الصحاب
فإن الداء اكثر ما تراه	يكون من الطعام او الشراب
إذا انقلب الصديق غدا عدوا	مبينا والأمور إلى انقلاب
ولو كان الكثير يطيب كانت	مصاحبة الكثير من الصواب
وما اللجج الملاح بمرويات	وتلقى الري في النطف العذاب

المتنبي



(١) الدميري ج ١ ص ١٣٢ — ١٣٣

زعيم البهائيين

عبد البها عباس

٢

البابية

نسبة الى الباب وهو السيد علي محمد بن ميرزا محمد رضا البزاز لقب نفسه بالباب أول اظهاره مذهبه واراد به باب الإمام المنتظر عند الشيعة أي مظهره والواسطة بينه وبين الناس أو اراد به باب العلم أخذا من الحديث الشريف أنا مدينة العلم وعلي بابها أو اراد به باب الدين لأنه يدعي أن لا مدخل للدين إلا من جهته أو انه وهو الأرجح اراد اولا أنه باب الإمام المنتظر ثم لما فشا امره وامل الفوز ارتقى فجعل نفسه باب الدين والعلم معاً

أما الدين فلأنه يريد ما قدمناه وأما العلم فلأنه حظر على اتباعه طلب العلم إلا من كتبه كما اشرنا اليه في المقال السابق وكيف كان فقد جعل لنفسه القاباً اخر منها النقطة والذكر فالنقطة لما سيأتي

وأما الذكر فلقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

ولد اول المحرم سنة ١٢٣٥ هـ من ابوين علويين وتوفي والده قبل فطامه فنشأ في حجر خاله الميرزا السيد علي الشيرازي اخي امه المسماة خديجة وعني خاله بتعليمه فتعلم اللغة العربية تعليما ناقصاً وتعلم النحو الفارسي وبرع في الخط إذ صرف جهده اليه ثم ادخله خاله عالم التجارة واخذه الى مدينة ابو شهر على الخليج الفارسي فاتخذا لهما محلا في الوكالة المسماة سراي الحاج عبد الله وكان ذا ميل خاص الى التعاليم الروحانية والمبادىء التصوفية وكان ينتمي الى الطائفة الشيخية والشيخية طريقة نشأت في ايران

ومؤسسها الشيخ احمد زين الدين الاحسائي الذي يقول فيه بعض الشعراء

لزين الدين احمد ضوء فضل بها تجلى القلوب المدلهمه
يريد الحاسدون ليطفئوه ويأبى الله إلا أن يتّمه

وهذا المذهب لم يخرج من ربقة الإسلام ولكنه قائم على تطبيق اصول العقائد الإسلامية على المذاهب التصوفية الروحانية ويقول في المهدي انه الآن من سكان عالم روحاني غير هذا العالم الجسماني سموه (جابلقا وجابرسا) وان اجسام سكانه كاجسام الجن والملائكة[١] وهذه الطائفة هي فرقة من الكشفية والكشفية مذهب في ايران اكثر اهله في مدينة تبريز وماليها وكان صديقنا المرحوم الميرزا علي ثقة الإسلام احد رئيسيه العظيمين في تلك المدينة وهو الذي جرت المناظرة بيننا وبينه في المقتطف على قِدم التشيع في جبل عامل

عكف الباب في مدينة ابو شهر على الخلوات الرياضية الروحية فكان يصعد على السطح في حر الظهيرة (وناهيك من حر مدينة بوشهر اذ يبلغ الدرجة ٤٢ سانتغراد) مكشوف الرأس ويمكث بضع ساعات معرضا هامته للحرارة المحرقة فاصابته بعد ذلك نوبات عصبية وعظم ذلك على خاله فزجره فلم ينزجر فأرسله الى العراق للزيارة لعله يشفى مما به وكان بلغ العشرين من العمر

اقام في العراق اربع سنين وستة اشهر على رواية موءرخي ايران وخمسة اشهر على رواية البابيين كان يجهد نفسه فيها بالرياضات الروحية والعبادات وكان يحضر درس السيد كاظم الرشتي زعيم الشيخية بعد الشيخ احمد زين الدين ويسمع اقواله وشروحه ويستفهم عما اغلق عليه فهمه ثم بعد مدة ذهب الى مسجد الكوفة مع بعض اخوانه فاعتكفوا اربعين

(١) دائرة المعارف ج ٥

يوما ورجع وقد تغيرت خطته وظهر بمظهر المخالف للكتاب والسنة فعذلوه ثم هجروه

ودعا الى نفسه سراً واطلق على نفسه اسم الباب وكان انقطاعه للرياضة والعبادة واسطة لانخداع بعض الناس به فتبعه ثمانية عشر رجلا سماهم (حي) وهي في حساب الابجدية ثمانية عشر وكان هو التاسع عشر فجعل هذا العدد مباركا وبنى عليه احكاماً كما ستعرف

فتبرأ منه علماء الشيخية ونعوا عليه دعواه و كفره علماء الشيعة في العراق ثم لما كثر اتباعه ادعى أنه صاحب شريعة وأنه انزل قرآن عليه سماه البيان وقال في كتابه (احسن القصص) الذي جعله في تفسير سورة يوسف ما ترجمته (إني افضل من محمد كما أن قرآني افضل من قرآنه واذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن فانا اقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف مثل حروفه إن محمدا كان بمقام الألف وانا بمقام النقطة) [1] ثم ارتقى فادعى أنه خالق الخلق وأنه ليس نبياً بسيطا بل هو مشخص للالهة [2]

وارسل دعاته الى ايران وشرط عليهم أن لا يبوحوا باسمه حتى يكون هو الذي يظهره فذهب ملا محمد علي المازندراني وملا صادق الخراساني الى كرمان لدعوة اهلها عامة ودعوة الحاج محمد كريم خان قاجار خاصة ورجا من اجابة الحاج محمد كريم خيرا كثيرا لأنه من اجل علماء الشيخية مقاما وجاها وهو من الأسرة المالكة فرفضه رفضاً واعلن كفره والف كتابا في بطلان مذهب الباب لذلك مقتاً شديدا وفيه يقول البهاء (اذكرا الكريم اذ دعوناه الى الله انه استكبر بما اتبع هويه بعد اذ ارسلنا اليه ماقرت به عين البرهان في الإمكان . . . انه ولى مدبرا الى أن

(١) مفتاح باب الأبواب (٢) دائرة المعارف

اخذته زبانية العذاب عدلا من الله انا كنا شاهدين) (١)

واظهر الباب عزمه على السفر الى مكة في الموسم يوهم أنه يريد اعلان دعوته فاصطحب ثمانية عشر رجلا من اتباعه واجروا على سفينة شراعية كادت تغرق بعد سفرها فالتجأ الى بوشهر على رواية المؤرخين ويقول البابيون انه بلغ مكة واظهر الدعوة ولم يقل به غيرهم ولو كان حقاً لسارت بـه الركبان

فغضب عليه خاله ولم يساكنهُ فاتخذ دارا لنفسه وارسل دعاته الى شيراز موطنه الأول وواليها حسين خان المراغي التبريزي فهاج علماؤها لهذه الجراءة واخبروا الوالي فتعرف خبرهم وخبر صاحبهم وامر بقتلهم فقتلوا ثاني شعبان ١٢٦١ وطلب الباب اليه فاتي به في ١٩ رمضان من تلك السنة ورجع الباب الى بيتهِ الذي منهُ خرج تحت المراقبة وهنالك الف كتابهُ البيان وجعله كتاب الشريعة والأحكام وفيهِ كثير من العربي المسجع وبعض الفارسي إلا أن العربي منه كان ملحونا فلما سئل عن ذلك قال . إن الحروف والكلمات عصت واقترفت خطيئة في الزمن الأول فعوقبت على خطيئتها بأن قيدت بسلاسل الأعراب وحيث بعثنا رحمة للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين حتى الحروف والكلمات فلتذهب حيث شاءت من وجوه اللحن والغلط (٢)

ثم إن الوالي طلب الباب سرا اليه بعد ان اطمأنت به الدار فاكرمه واستدرجهُ بأن اظهر تصديقهُ ووعده النصر بالسيف فانخدع الباب وسر سرورا عظيما ووعد الوالي بأنهُ سيجعله سلطانا على المملكة العثمانية يوم يملك الأرض (٣) فطلب اليهِ الوالي أن يكف عن الدعوة حتى يتهيأ له اعداد القوة للجهاد

(١) المفتاح (٢) دائرة المعارف (٣) المفتاح

بين يديه ونقلهُ الى داره معززا مكرما ولما عرف الوالي أن الباب اطمأن اليه عقد اجتماعاً عاماً في داره دعا اليه العلماء والأمراء والأعيان ورغب اليهم في أن يختبروا الباب وأن يفتوه في امره واخبرهم بحيلته واخرج اليهم الباب ومعهُ السيد يحيى الدارابي فدعاهم الباب الى دينه صريحاً ولم يتقِ وتهددهم بالقتل إن لم يجيبوه فسكت الحاضرون باشارة من الوالي وطلب من الباب أن يكتب دعوته لهم خطاً ليكون ابلغ في الدعوة ففعل وكتب اسطرا بالعربية على سبيل المناجاة كثيرة اللحن والغلط سقيمة التراكيب فاخذها العلماء ونقدوها واظهروا عيوبها فاعتذر بأنهُ لم يتعلم وأن ذلك الهام ووحي فافتى بعض بجنونه وبعض بقتله فامر الوالي بضربه وسحبه فضرب ضرباً مبرحاً فاستغاث واظهر التوبة والرجوع الى الهدى فكف عنه وامر باخذه مشهّرا الى المسجد الجديد وفيه جماعة من العلماء فصعد المنبر واعلن بطلان ما كان يدعيه والندامة على ما فرط منه ثم ادخل السجن ومنع من الناس وانتشر بعدئذ الوباء (الكوليرا) في شيراز ففر اهلها منها وفيهم الوالي واغتنم الباب الفرصة فهرب الى اصفهان بدعوة من واليها منوجهر خان وكان هذا كرجيا حديث عهد بالاسلام وقد اظهر لدعاة الباب التصديق به ولما وصل الباب الى اصفهان تلقاه الوالي بصدر رحب واكبر امره على العلماء واحتال حتى انزلوه دار احدهم ولما رأوا مخالفته للدين انكروا عليه وهاجوا وماجوا فاخذه اليهِ واخفاه عنده وكتب الى طهران بما اراد واظهر للعلماء انه ارسله الى العاصمة بطلب من الحكومة ومضى عليهِ بضعة عشر شهرا وهو في قصر الوالي آمن السرب وهو يجتهد بنشر دعوته

مكلوءاً بعين معتمد الدولة منوجهر خان الى أن مات هذا الوالي فجأة وقيل بدسيسة بعض اتباعه المسلمين وولي الولاية اخوه [١] أوابن اخيه [٢] كركين خان فلم يرض عن عمل سلفه وارسل الباب الى طهران وقبل أن يبلغها بمرحلة نفي الى قلعة جهريق بمدينة ماكو القريبة من مدينة بايزيد العثمانية في ولاية اذربيجان وكان امر الباب قدقوي مدة لبثه في اصفهان ورأى بعد نفيه أن يؤيد دعوته بالسيف مغتنما الفرصة بقيام الثورات الأهلية في بلاد العجم ما بين وفاة محمد شاه وتتويج ناصر الدين شاه وما كان يومئذ من عصيان كثير من الولاة فاوعز الى اتباعه سرا أن ينهضوا ويجهروا بامره واول من لباه ملاحسين بشرويه الخراساني بخراسان والملا محمد علي البارفروشي وزرين تاج (التاج المذهب) المعروفة بقرة العين بمازندران وطبرستان وجيلان

وكان لملا حسين منزلة كبرى عند البابيين وهو ممن اجاب دعوة الباب لما كان في شيراز وسماه (باب الباب) واطلق عليه لقب المبشر والوزير وهو الذي يقول البهاء فيه (لولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته ولااستقر على كرسي صمدانيته) فجهر ملا حسين بالدعوة ومعهُ ملا صادق الخراساني وتبعهما جماعة فعقدوا اعلاما سودا (ليطابقوا حديث طلوع الرايات السود من خراسان) وجمع الملا حسين لديه ٣١٣ رجلا ليكونوا عدة اهل بدر فقام الناس الى حربهم فتحصنوا بمقبرة الشيخ الطوسي في ولاية مازندران وبذلوا مجهودهم من تحصينها وجعلها قاعدة لأعماله الحربية وردّ حملات عسكر الحكومة عنهم ثم استصفى اموال الناحية ووفد اليه البابيون من كل صوب ينصرونه وهو يمدهم

(١) المقتطف م ٢٠ (٢) المفتاح

ويثيهم بالملك والسلطان . فقويت قلوبهم ودافعوا اشد الدفاع عن مراكزهم والحكومة يومئذ فوضى بين موت سلطان وتولية غيره حتى اذا استقر العرش بناصر الدين شاه ارسل حملة منظمة فقتل ملا حسين بعد معارك شديدة

وقبل أن يسلم الروح وصّى اصحابهِ بطاعة ملا محمد علي البارفروش الملقب عند البهائيين بالقدوس ومنّاهم النصر والظفر تحت رايته ثم كانت الحرب سجالا واستلم قيادة عسكر الحكومة القائد سليمان خان افشار فاصلى البابيين نارا حامية والقوم محصورون وقد نفذ زادهم وذخيرتهم واستمات العسكران في الحرب والدفاع فاستسلم ملا محمد علي وأخلى القلعة مستأسرا وحوكم المحاربون فحكم عليهم بالإعدام فقتلوا رمياً بالرصاص وقتل ملا محمد علي البارفروش (القدوس) بعد استسلامه واحرقت جثته

النبطيه احمد رضا

حكم عربية

على كل مسلم صدقة قال أرأيت إن لم يجد قال يعمل بيديه فينفع به نفسه ويتصدق قال أرأيت إن لم يستطع قال يعن ذا الحاجة الملهوف قال قيل له أرأيت إن لم يستطع قال يأمر بالمعروف او الخير قال أرأيت إن لم يفعل قال يمسك عن الشر فإنها صدقة (النبي صلى الله عليه وآله)

البذاء من ضيق التصرف وفعل السوء من قلة الحياء

فوت الحاجة اهون من طلبها من غير اهلها

(علي عليه السلام)

لاخير فيمن لا يحب جمع المال الحلال يصون به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه (جعفر الصادق عليه السلام)

خير اموالك ما كفاك وخير اخوانك من واساك

(ابو بكر رضي الله عنه)

صفحة من تاريخ الفن

مثال من امثلة العزم والرجاء

١

قياس المتر(١)

لا إخال ان احدا منكم يجهل ما هو المتر بعد ان عرفه ايام طلبه لمبادىء العلوم وهو كما علمتم : «جزء من اربعين مليون جزء من دائرة نصف النهار الأرضية» ومعرفة تاريخ المتر هذا الذي قد عرَّفناه بهذه الكلمات القليلة مثال من ادق امثلة الكفاح والظفر في ميادين العلم والفن

إن المقاييس التي كانت تستعمل قبل ايجاد المتر كانت جميعها اعتبارية عندية ويختلف بعضها عن بعض بحسب اختلاف الممالك حتى أنه ليوجد فرق بيّن في المقاييس التي تستعمل للأشياء المختلفة في مدينة واحدة ... وللتملص من حرج هذا التنوع والإختلاف كان يجب احداث مقياس يتخذ اساسه من الطبيعة ، وبغير هذا المقياس الطبيعي لم يكن يتسنى جمع مقاييس البلاد والممالك المختلفة على مقياس واحد عام!..

وقد كان اول من فكر في هذا الأمر وتذرع بالذرائع اليه «بوفون» احد علماء الطبيعة الفرنسويين ، فإنه اقترح أن يتخذ طول الرقاص الذي يقوم في الثانية الواحدة بحركة رقصية واحدة على عرض «٤٥» درجة — على مستوى سطح البحر — واحدا قياسيا . وقد ظل اقتراحه هذا ما يزيد عن ثلاثة ارباع العصر حبرا على ورق لم ينتج شيئا ولم يخرج إلى حيز الفعل .. ولم يهتم بهذا الاقتراح إلا ابان الثورة الافرنسية فانه في سنة ١٧٩٠ م قام «تاليران» في مجلس النواب وبحث عما كان اقترحه «بوفون» ورغب إلى النواب ان يظهروا هذا الاقتراح إلى حيز الفعل . وقد كان العزم على توحيد المقاييس المختلفة في كل صقع من الأصقاع قويا في ذلك الحين في نفوس اعضاء مجلس الامة فلذلك كان لاقتراح «تاليران» وقع حسن عند الاعضاء . وعلى اثر قبول مجلس الأمة اقتراح «تاليران» شرع «مجمع الفنون» في المذاكرة والتدقيق في هذا الامر وبعد بضعة شهور رفع لائحة إلى مجلس الامة يرى فيها أن ينبذ اقتراح «بوفون» وأن يكون الواحد القياسي للطول طول جزء من اجزاء دائرة نصف النهار تشتق منه

(١) مترجم عن خطاب للعلامة الاستاذ ساطع بك الحصري

مقاييس الحجم والطول واما الأوزان فإنها تكون تابعة لهذا أيضا ويتخذ وزن الماء الذي هو في حجم سانتيم مكعب اساسا لذلك ، فقبل مجلس الامة هذا الاقتراح واعد لذلك ما ينبغي من النفقات والفوا لجنة من اعضاء المجمع لتقوم بهذا العمل وقد كانت «لجنة المتر» هذه مضطرة إلى القيام بمساحات وحسابات دقيقة جمة: فإنه كان يجب عليها أن تمسح دائرة نصف النهار ، وأن تقوم بتدقيق دقيق في وزن الماء وان تصنع ما توجده من المقاييس الجديدة وتحتاط لصيانة نماذج هذه المقاييس من التغير وان تحسب النسب والفروق بين المقاييس العتيقة والمقاييس الجديدة، وأن تقدر — بحسب المتر — طول الرقاص الذي يقوم بحركة رقصية واحدة في الثانية الواحدة .

ولا شك في أن اهم هذه الاعمال واشدها مشقة مساحة دائرة نصف النهار . . . ومن المعلوم أن دائرة نصف النهار مسحها المصريون واليونانيون في القرون الأولى ومسحها العرب في القرون الوسطى ومسحها الاوروبيون في القرون الاخيرة . ولا ريب في أن الاعتماد على هذه المساحات القديمة غير جائز لما طرأ على العلم والفن من التجدد والرقي فلهذا كان من الواجب أن تمسح دائرة نصف النهار من جديد . وبناء على هذا قررت اللجنة مساحة قوس من اقواس هذه الدائرة يمتد بين مدينتي «دونكيرك» و«بارسلونا» وهو قوس بطول (١٠) درجات وفوضت اللجنة في امر المساحة كلا من العالمين «دولامبر» و«ميشن» وقوس مثل هذه القوس لا يمكن قياس طولها بالمساحة الهندسية . . والواسطة الوحيدة لذلك هي أن يحسب حسابا ليس الا . ولهذا كان يجب أن تنتخب عدة نقط على القوس ينظر بعضها إلى بعض وتقاس اولا الزوايا التي بينها بتدقيق واعتناء ثم يمسح طول القوس التي بين نقطتين من هذه النقط على وجه الصحة . . ولا ريب في صعوبة انتخاب هذه النقط المسماة بنقط (نيرنكي) ومساحة الزوايا التي بينها ، وهذه النقط يقع بعضها في الفلوات والمدن والقرى وبعضها في الجبال والذرى حيث لا طريق ولا انسان ! . . . وقد يوجد في بعض الامكنة مرتفعات تعين على انتخاب تلك النقط — كقبب النواقيس والمداخن والارحية — فيستفاد منها في تسهيل امور المساحة . . والامكنة التي لا يوجد فيها مثل ذلك يقتضي أن يقام فيها قبب واعمدة ، والنقط القريب بعضها من بعض يمكن روءيتها نهارا فتمسح الزوايا التي بينها على ضوء النهار واما النقط البعيدة فإنه لا يمكن انتقاوءها نهارا لما يحول دون ذلك من نور الشمس فتنتقى ليلا على ضوء المصابيح وتقاس الزوايا التي بينها ،

وفي الأيام المغيمة والمضبة لا يمكن القيام بعمل ما سواء في الليل او في النهار فيقضي ذلك الوقت بالانتظار

وقد كان كل من «ميشن» و«دولامبر» يعلم كل هذه المصاعب فوطّنا نفسيهما على تحمل كل مشقة او صعوبة تعترضهما . غير أن الطبيعة لم تكن على حد ظنهما بها . . فحشدت عليهما من المشاق والشدائد فوق ما كانا يتصورانه ويتخيلانه : وقد استغرق اعداد الآلات المقتضاة للمساحة وحدها اكثر من خمسة عشر شهرا . وكانت الثورة الافرنسية قد اندلع لسان لهيبها وامتد في هذه المدة ولم يبق أمن ولا نظام في البلاد ، وكان «مارا» آخذا بالتحريض على العلماء (لا سيما لجنة المتر) في جميع ما يكتبه وينشره في الصحف ، واذاع أن ما اخذته هذه اللجنة من اموال الامة ينفق جميعه على الملاهي وشرب الخمور والفحش . ولهذا كان التطوف في القرى والجبال واقامة الاعمدة فيها وانتقاء المشارف والمرتفعات وايقاد المصابيح فيها وقياس الزوايا واختيار النقط . . امرا ذا خطر لا يخلو الاقدام عليه من الالقاء بالنفس إلى التهلكة في كل حال .

وقد ظهر ذلك من اول خطوة خطيت في سبيل هذا المرام : فإن (ميشن) تكفل بمساحة نصف القوس لجهة الجنوب — من «رودهز» الى «پارسلونا» — وتكفل «دولامبر» بمساحة النصف الآخر لجهة الشمال — من «دونكهرك» إلى رودهز» وللقيام بهذا العمل غادر «ميشن» باريز في حزيران سنة ١٧٩٢ ووجهته «رودهز» ومعه معاون اسمه «ترانشو» فأخذ ما يحتاج اليه من الآلات كالمناظير (دوربين) والقناديل والمرايا والاوتاد ووضعها في مركبة خاصة وسار فما اتى اليوم الثاني حتى اوقف عند وصوله إلى (مال دوازين) وقد مر من هناك المتطوعون الآتون من مارسيليا قاصدين باريز فأبقوا هناك جنديين مريضين ، فلما شاهدوا الآلات والأدوات في المركبة التي تقل «ميشن» لم يشكُوا بأنها آلات اتخذت لمفاوضة الحزب الملكي — حزب المرتجعين — فهاجوا الناس عليه فاتاه مدير الناحية واخبره انه لا يستطيع المسير إلى جهة من الجهات قبل تحقيق امره . . . فأخرج على اثر ذلك «ميشن» اجازة سفر كان يحملها معه واراهم اياها لازالة الشبهة ودفع الريب عنه . ولعدم وجود من يعرف القراءة بينهم لم يستطيعوا أن يفهموا المراد من تلك الاجازة . غير أنهم رأوا سمة السلطنة موسومة في اعلاها فازدادت شبههم وقويت ظنونهم حتى قال بعضهم بوجوب صلب

«ميشن» حالا . فلما رأى (ميشن) حرج الموقف رغب اليهم ان يبقى رهينة عندهم وان يرسل رفيقه الى باريز لحسم النزاع بينهم وبينه . فاتفق ان مر بالبلد طبيب فأقرأوه الإجازة فقرأها وافهمهم الأمر فلما اتضح لديهم ذلك اطلقوا سراح «ميشن» فظل مثابرا على سيره . وحينما غادر «ميشن» باريز كانت الآلات التي وصى على صنعها «دولامبر» لم تتم بعد فلهذا كان يتطوف في جوار باريز — مع معاونه «لوفرانسه» — وينتخب النقط الموافقة حتى يتم صنع الآلات . وقد كان من الضروري ان تنصب عواميد في بعض الجهات وتقام شرفات لأجل رؤية النقط المنخفضة من مكان بعيد . ودولامبر كان يحيل مثل هذه الأعمال الى رجل خبير ويثابر هو على تدقيقه واكتشافه . وفي اواسط شهر تموز ذهب الى «لاژونكي‌يير» للشروع في المساحة وكان فيها طاحونة ودّ دولامبر ان يصعد على ظهرها ويشير الى بعض الجهات التي يجب ان يتخذها اساساً لقياس الزوايا فاطلع مدير الناحية على اجازته فأذن له غير ان اهل القرية احدقوا به ومنعوه من الصعود على سطح المطحنة فندم المدير على اذنه لدولامبر ومنعه ! فاضطر دولامبر الى ان يذهب الى مركز الولاية . وكان الوالي من اعضاء مجلس الأمة يوم قرر قياس المتر فلما علم امر دولامبر اذن له وكتب الى مدير الناحية يأمره بعدم منع دولامبر من القيام بعمله ويحثه على موازرته وتذليل كل ما يعترضه من العقبات وبهذا تمكن دولامبر من القيام بعمله خمسة عشر او عشرين يوما مرتاحا لا يرى عائقا او مثبطا وفي صباح اليوم العاشر من شهر آب ارسل رفيقه الى باريز ليأتيه بالآلات — القناديل والمرايا وغيرها — من المعمل ويذهب بعد ذلك الى ذروة «مون مارتر» ليوقد في الليل هناك قنديلا في نقطة قد عينها له ويراقبه هو من مكانه ليمسح الزاوية التي بين تينك النقطتين .

ولما دخل (لوفرانسه) باريز وجدها جذوة نار تضطرم بالثورات من كل ناحية، وقد هجمت الجموع الكثيرة على قصر الملك وأقامت امام القصر هناك حربا طاحنة سالت فيها الدماء حتى غطت وجه الصعيد : والحرس والأرصاد الذين اقامهم الثوار بين جيئة وذهاب وغدو ورواح في الاسواق والمنعطفات والأزقة والرعب والدهش لم يدعا قلبا الاوقد دخلاه ! كل ذلك لم يثبط عزائم (لوفرانسه) ولم يوقفه عن اتمام مهمته التي اتى باريز لاجلها فذهب توا الى المعمل غير مبال بكل ما يراه واخذ المرآة والقنديل واطلق لساقيه العنان قاصدا ذروة «مون مارتر» فاعترضه

الأرصاد واوقفوه عن السير فاضطر الى الذهاب الى عمه «لالاند» بعد ان يئس من نجاحه في السير ورغب اليه ان يتوسط له للوصول الى «مون مارتر» . وقد كان «لالاند» وقتئذ مديرا للمرصد وله اتصال بالثائرين ! ولكن لم يكن مثل هذا التوسط يجدي نفعا في تلك الساعة لأن الوقت قد ضاق وليس في الإمكان حسن المفاهمة والخطاب مع احد من الثائرين فضلا عن ان التصدي للذهاب الى «مون مارتر» في ذلك اليوم القاء بالنفس الى التهلكة . ولهذا لم يكن من حيلة غير ارتقاب الغد . غير ان «لوفرانسه» ذكر ما سيعتري (دولامبر) من القلق والم الانتظار في تلك الليلة التي هي موعد التقائهما فاضطرب لذلك واصر على المسير غير مبال بما يعترضه من العقبات ولكنه اذعن اخيرا لنصائح عمه «لالاند» ولم يزمع السير .

وفي صباح اليوم الثاني تقلنس (لالاند) هو و (لوفرانسه) بقلنسوة الثوار وأجازه لالاند بين الثوار والعساكر المزدحمة حتى وصل لوفرانسه الى «مون مارتر» دون ان يلاقي شيئا من الصعوبة . وهكذا : بينما كان كل باريزي في ذلك المساء مشغول الفكر في ذكرى وقائع الأمس مشتغل البال في استقصاء الاخبار عن سَجن الملك وفتح القصر متطلعا إلى ما سيحدث في الغد ومابعده من وقائع الأيام ، كان (لالاند) قابضا على منظاره في مرصده يرقب كواكب السماء . ولوفرانسه في ذروة «مون مارتر» يوقد قنديله ليستهدفه «دولامبر» من حيث هو بعيد عنه .

وكان يجب على دولامبر ان يبدل اجازة السفر التي هي معه لأنها موسومة بسمة السلطنة والسلطنة يومئذ ثلّت عروشها . وكان لالاند ذكر ذلك في باريز وسعى لدى الحكومة وحصل اجازة ارسلها مع لوفرانسه الى دولامبر .

واحيا دولامبر تلك الليلة وعيناه الى منظاره يرتقب النور الذي سيسطع من القنديل في ذروة مون مارتر . فلما يئس من ان يرى ذلك النور ايقن بطروء حادث في تلك الليلة ، وما أتى مساء الليلة الثانية حتى كان دولامبر قابضا على المنظار ينظر الى جهة (مون مارتر) . فلما رأى الضوء في هذه الليلة زال عنه ما كابده في الليلة السالفة من الأتعاب وثابر على عمله بجد ونشاط . ولكنه لم يقف على الاسباب المعوقة وما حدث في باريز من الوقائع الا بعد ان عاد لوفرانسه واخبره بها . وفي هذا اليوم نفسه تلقى دولامبر عدة اخبار سيئة عن عمله منها انه كان نصب عمودا بجانب قبة في (مون تهري) فلما رآه اهل القرية قالوا هذا انما نصب العمود لمفاوضة حزب الملك في باريز فاقتلعوه

وحملوه الى ساحة القرية وحطموه قطعا قطعا . وكان امر نجارا ان يصنع له قبة من خشب في (مون جاي) وعلمه كيف يصنعها . وقد كانت الثوار استغوت اهل تلك القرى وجعلتهم يعتقدون ان الأراضي ستغتصب منهم وتوزع ، فلما اخبروا بأنه يهتم بصنع قبة لمساحة الأراضي، لم يشكوا بأن ذلك مقدمة لغصب اراضيهم وتقسيمها فتسلحوا بالمعاول والمجارف وقصدوا النجار ومنعوه عن العمـل . ولما علم دولامبر بهذه الواقعة ذهب الى مركز الولاية واظهر للوالي الإجازة التي كان اتى بها معاونه من باريز فأجازه الوالي على اثر ذلك فسرّ دولامبر وسري عنه وذهب توا الى «مون جاي» . وهناك قرأ راهب القرية الإجازة وشرع يفهم الناس في الكنيسة حقيقة الأمر وظن انه قد اقنعهم واقتنعوا منه . مع ان هؤلاء القرويين لم ينصرفوا عن رأيهم الأول . حتى انهم اخذوا يهيجون غـيرهم من القرويـين المجاورين لهم فلم يصبح الصبـاح حتى تجمهر اهـل القرى رجالا ونساء كبارا وصغارا وشرعوا جميعهم يهددون النجار ومن معه من اساتذة النجارة والبناء ! وقـد ودّ دولامبر ان لا يهتم بتهديدهم لو لم يشعر من بعد بشدة الحال وخطرها فاضطر الى العدول عن بناء قبة هناك . وكان قريبا منه قصر حصين يمكن ان يتخذ نقطة في نافذته للمساحة وكان له معرفة بأهله فقصده وشرع ينظر في منظاره من النافذة الى مساحة الزاوية فرأته شرذمة من القرويين وقد كانوا يتأثرونه ومن معه بعد ان اطلقوه في اول مرة وندموا على إطلاقهم اياه . فلما رأوه في هذه المرة رجعوا الى بقية القرويين واخبروهم بأمره فهاج القرويون واعتقدوا بسوء نيته ونية من معه فقصدوه الى القصر وحصروه .

ولما رأى دولامبر سوء ما ادى اليه حمق هؤلاء الرعاع رأى ان يستسلم اليهم كي لا يكون سببا في جلب الأذية على اصحاب ذلك القصر . وكان القرويون عزموا على ان يقودوهم مشاة الى قرية تبعد بضع ساعات عنهم فأمروهم بالسير وانذروا بالقتل كل من يهم بالفرار منهم ، وفي تلك الساعة همت الأمطار ووحلت الارض وسار هؤلاء العلماء تكتنفهم مهالك الجوع والبرد ويتورطون في المواحل ويقضقضون من شدة البرد ! .

وظل دولامبر ذلك المساء واليوم الذي تلاه محجورا عليه في خان من الخانات ، ومعاونه لوفرانسه ذهب الى مركز الولاية واتى بأمر لأجل الافراج عنه . وقد كان دولامبر نجا من الموت في اثناء هذه الواقعة مرارا عديدة جعلته يزداد وثوقا من ان

قيامه بما عهد اليه — في مثل تلك الاوقات الحرجة التي تضطرم في خلالها البلاد اضطرام النار في يابس الحطب — يكون سببا لوقوعه في مهالك كثيرة . ومع ذلك فإنه لم يثن عزمه ولم يوقف سيره لما يعتقده من ان عمله هذا سيجعل لفرانسا شرفا عظيما ، وان مساحة دائرة نصف النهار ستزيد في شهرة فرانسا وسمعتها العلمية ويكون استعمال الناس للمقاييس في كل جهة من اعظم المروجات لتلك الشهرة والسمعة . ولو هاب دولامبر تلك المهالك التي احدقت به وكانت من اقوى دواعي تثبيط الهمم واخماد العزيمة ، واهمل عمله ومثابرته عليه ، لكان اشبه الجندي الذي يفر من ميادين الحروب خوفا من الرصاص ، ولهذا عزم على الثبات وملاقاة تلك المهالك والشدائد التي تحدق به برباطة جأش وتجلد ومضاء عزيمة . غير أنه لم يكن بيده مستندٌ ما يخوله المثابرة على العمل في المناطق التي ينوي دخولها . لأن ما يحمله من المستندات خاص بمنطقة معينة ، وما رخص به والٍ في منطقة لا يجيزه والٍ آخر في منطقة اخرى ولا يذعن له قرويو تلك المنطقة . ولهذا كان من الضروري تحصيل رخصة جديدة من باريز . وخشي ان يذهب الى باريز بنفسه فيؤمر بالانتظار حتى يرجع الأمن والنظام الى نصابهما فيتوقف عمله ويتأخر فأرسل معاونه بدلا منه .

سار لوفرانسه الى باريز وحصل بمساعدة عمه «لالاند» على الأوامر التي ارادها وعاد بعد ان تغيب ثلاثة ايام ، وكانت تلك الأوامر موجهة الى كل والي ولاية يمر بقراها او آثاك العلماء ، وقد اتى فيها بعد الكلام عن مساحة المتر ، الحض على مؤازرة العلماء القائمين بذلك وتسهيل الطريق لهم . ولم يكن احدٌ أسرُّ من «دولامبر» لما تناول مجموعة تلك الأوامر ، وما كاد يستلمها حتى جمع ادواته وآلاته وسار قاصدا «سنت مارتن» . ولكن مالبث ان اوقفه الأرصاد في ذلك اليوم . فلم يرتبك لذلك بل اظهر لرئيس تلك الأرصاد الأمر الذي معه وهو يتوقع ان يقرأه ويتركه ، ولكن الرئيس رغب اليه ان يريه الآلات التي معه فأسرع دولامبر الى حقيبته واخرج له منظاره وشرع يعرفه به ويبين له كيفية استعماله . غير ان الرئيس لم يكن رأى قبل منظارا ولا يعرف شيئا عنه فلم يحسن تطبيقه على عينيه ولذلك لم يرَ شيئا به ، فثار غضبه وطرح المنظار من يده وجزم بمكر (دولامبر) وانه يتخرص الكذب . فبهت دولامبر في بادىء امره حينما رأى من صنع الرئيس ما رأى . ولكنه ثبت جأشه وتناول المنظار عن الارض وقربه من النائب — الشاويش — راجيا

منه ان ينظر فيه ، ولكن هذا اجابه بجواب اخشن من ذاك ، قال لـه : «لست بليدا ابله لدرجة اصدق بها مثل هذه الأكاذيب ! .»

ولما يئس دولامبر من امر المنظار شرع يجهد نفسه ليفهمهم عمله الذي من اجله لقي ما لقي من النصب وسوء صنيع هؤلاء . وما كاد يبدأ بكلامه عن كرية الأرض حتى ارغى الرئيس وازبد من الغضب وصاح قائلا: «ما لنا وللأرض ؟ كرية كانت ام بسيطة ! » ثم قال : « نحن يكفينا ان يخصب الزرع الذي فوق هذه الأرض . وان لا يكون على ظهرها طفيلي يأكل ما يزرع الزارع . »

وكان اجتمع حولهم كثير من القرويين . وفي هذه الأثناء حانت التفاتة من دولامبر فشاهد بين الجموع رجلين يحملان فوق عاتقيهما آلات تختص بالمساحة فرجا منهما خيرا ورغب اليهما ان يكونا حكمين بينه وبين هؤلاء الأرصاد ولكنه ، لم يأته منهما نفع . فاشتد بسبب هذا ارتياب الأرصاد ومن حولهم من القرويين وجزموا بأن «دولامبر» من اشياع الملك وخدمة المرتجعين . وعلى اثر ذلك اركبوه ومن معه في مركبة احدق بها الجند بالحراب وتوجهوا به نحو « سن دهني » . وخلفه زمر من الناس ينشدون الأهازيج الحماسية وينادون انه سائر الى الكيوتين (١) .

وقد كان هذا الموكب يزداد ويكثر كلما ازداد توغله في السير ، وكلما انضمّ الى هذا الموكب قروي وسأل عن الأمر يحرف له الجواب فيزداد بذلك النفور والغيظ من دولامبر ومن معه من العلماء . وما كاد هذا الجمهور يصل الى «سن دهني» حتى التف حوله جمع غفير من الثوار واخذوا ينتظرون بفروغ صبر ان يشهدوا «صلب هؤلاء الخونة المرتجعين . » . و «سن دهني» هذه كان فيها مقابر الأسرة المالكة فلذلك كانت مركزا للثائرين . والمتطوعون الذين كانوا محتشدين في تلك البلدة لم يسيروا الى باريز بعد فانضموا الى الموكب المطيف بأولئك العلماء واخذوا يطلبون الإسراع بصلبهم . وبين هذه الجموع الكثيفة انزلوا هؤلاء العلماء وقادوهم الى دار الحكومة بعناء . وقد كان عامل تلك البلدة من ذوي الذكاء والعلم ومن ارباب الغيرة والحمية ، فأدرك سر القضية ، ولعلمه بروحيات الشعب لم يسعه الا أن يجاريَ تيارهم ويسعى لانتهاز الفرص لتخليص اولئك العلماء . فظهر بمظهر المهتم بالأمر وشرع يستنطق دولامبر ومن معه . ولكنه ما كاد يتم بعض عمله حتى علت جلبة المحتشدين

(١) الكيوتين هي الآلة التي استعملت لقطع الرؤوس ابان الثورة الافرنسية

حولهم يطلبون العامل ليكلموه في شأنهم. فاسرع العامل اليهم علما منه ان التقاعس عن تلبيتهم في مثل تلك الاحوال يورث الندم وسوء العاقبة . وكان الثوار هؤلاء عثروا على مجموعة الأوامر لدولامبر ، في المركبة واوهمتهم السمات الموسومة بها ظروف تلك الأوامر انها مجموعة مخابرات مع المرتجعين حزب الملك وشيعته فلما خرج العامل سلموها اليه بعد ان ترجموها له بتلك الترجمة .

فأخذها العامل واراها «دولامبر» وسأله هل هي له ام لا فأجاب بأنها له . ولكن الثوار ما كادوا يعلمون ذلك منه حتى ضجوا بالصراخ «ان هذا الخائن قد اعترف . قد اعترف . اسرعوا به الى الصلب . الى الصلب» . وقد ودَّ دولامبر ان يسكن جلبتهم فذكر لهم ان تلك الظروف لا تحوي شيئا مما يظنون. وليس فيها ما يدعو الى اتهامه بالخيانة ، فانصتوا اله واصغوا ، ولكنه عندما ذكر لهم انه عضو من اعضاء المجمع الفني ، صاح احد المستمعين وقال متهكما : «من اعضاء المجمع الفني؟! ان كل هؤلاء خونة مرتجعون ، كلهم اريستوقراطيون ،هل سمعوا ما يقول (مارا) فيهم ؟ .» قال ذلك واخرج العدد الأخير من جريدة كان يصدرها ذلك الثائر الجهنمي واستعد لتلاوة ما يريد تلاوته من فقراتها .

وقد كان «مارا» لا يألو جهدا في تحقير العلماء والفلاسفة ونشر كل ما يؤدي الى ازدرائهم والحط من اقدارهم . ويحمل على كل من يرى ان الثورات في العالم تكون نتيجة من نتائج العلم والفلسفة ويقول انه لا ذريعة للبشرية للخلاص من الأسر الا بفصل رؤوس جميع العلماء عن اجسادهم وقتلهم في كل قطر .

وغير خاف ان تلاوة مثل هذه الاقوال المهيجة على رؤوس هؤلاء الثائرين المحتشدين هناك لا بد ان يؤدي الى قيامهم على دولامبر وقتلهم اياه . فأدرك العامل هذا المغزى وحالا قاطع ذلك المتهور بالكلام وقال : «ليس لك ان تتكلم في مثل هذا الموقف . ان حق الكلام لرفيقك الذي اتى بمجموعة هذه الأوراق والظروف» ثم وجه خطابه اليه وقال : « تكلم انت ! ما تريد ان نصنع ؟ ! » وكان لبيبا منصفا فقال : «يجب ان تفتح الظروف والاوراق ونقرأ ما فيها .» ولا شك ان دولامبر وافق على ذلك وارتاح اليه . فلما فتح الظرف وقرئ ما فيه ، لم يفهم احد من الحاضرين مغزى تلك الكتابة لأنها لم تكن من الأشياء التي يحسنون فهمها . واكثرهم عدّ ما قرئ عليه من جمل « قياس المتر » و «مساحة دائرة نصف

النهار» وما ضارعها طلاسم لا يوقف لها على سر ، ولهذا لم يستفد شيء من قراءة ذلك ولم يمكن تحسين ظن احد . ففتحوا ظرفاً آخر فارتابوا من القارىء : ورغبوا ان يقرأه قارىء غيره ، فلما مرت في اثناء القراءة كلمة «المجمع» صاحوا «يجب أن يصلبوا يجب أن يقتلوا»

وعرف العامل من كل ذلك ان ليس في الامكان ارشاد هذا الجمع الغفير وقمع دابر تلك الفتنة في ذلك اليوم فاضطر الى تاجيل ذلك فقال : «ايها المواطنون الكرام ! قدآن ان نختم تحقيقاتنا اليوم . فقد امسى المساء . وسأسرع في سجن هؤلاء الخونة واحجز على امتعتهم واشيائهم بعد ان اختمها وفي صباح الغد نعود الى التحقيق على وجه التفصيل ، ونطلع حق الأطلاع على ما يودهؤلاء ان يقوموا به من الخيانة للوطن»

وعلى اثر هذا التخدير اللطيف انفرط عقد القوم وتفرقوا الى اماكنهم ، ونجا دولامبر من شر ذلك اليوم المشوم . وفي اليوم الثاني سافر لوفرانسه الى باريز وقابل هناك «لالاند» واطلعه على الواقعة . فاستحصل لالاند من مجلس الناحية على امر موسوم بسمات الثورة فأخذه لوفرانسه وسار قاصدا دولامبر .

وبهذه الوسيلة اطلق دولامبر من السجن بعد أن لاقى مالاقى من الأهوال ونجا بجشاشة نفسه . وما كان الهول الذي لاقاه والخذلان الذي اعترضة ليصداه عن مرامه او يثبطا عزيمته ، بل انه ما كاد يحس بانفلاته من اشراك السجن حتى شرع بعمله الذي من اجله تحمل كل تلك المشاق ، على رغم ما يلاقي من الأذى والسجن والتثبيط حتى ادركه فصل الشتاء . فعاد الى باريز بعد ان ايقن انه لا يستطاع القيام بأي عمل ما في الصحاري والفلوات بسبب هطول الأمطار وقضى دولامبر فصل الشتاء بالتدقيقات الحسابية ، وما تنفس الربيع وصفا اديم السماء حتى قابل وزير الداخلية وطلب منه رخصة ليتم العمل الذي كان شرع به . وقد كان ذلك الوقت من اشد اوقات الثورة والفرنسويون يسمونه «زمن الرهبه terreur» لما كان فيه من شدة الفزع والخوف وضعف نفوذ الحكومة في كل ناحية وتمادي الثوار في القتل والسفك والنهب . فنصحه الوزير ورغب اليه ان يتربص ريثما تتقشع غيوم تلك الثورة ويعود الأمن الى نصابه فأجاب دولامبر : (اخشى ان لم نواصل عملنا ان لا نستطيع العود اليه من بعد وان نصاب بعقم مشروعنا هذا الذي نأمل ان يمحو بأنواره ظلمات هذا العهد الدموي المهيب . وان انا اوقفني الثائرون واراقت دمي الأيدي الأثيمة ، فإني بذلك ايضا اسدي الى بلادي

يدا جليلة لأن تردد صدى موتي في المحافل والمدن ينشط اخواني الشبان الى اقتفاء
اثري واتمام مشروعي ،وفي ذلك لفرانسا من الشرف ما لا تدرك غايته . ومن العار
ان نتقاعس ونحن هنا في فرانسا عن مثل ما يحتمله رفيقي ميشن من المشاق وهو في
اسپانيه .) .

فكان الكلام دولامبر هذا ، المملوء بالحماسة وعواطف المفاداة وقع عظيم في
نفس الوزير حمله على اجابته الى رغبته فكتب الى والي باريز نميقة يرجوه بها اعطاء
دولامبر رخصة بالقيام بعمله . وكان الوالي يرى الإقدام على مثل هذا العمل لا يخلو
من تبعة تلحقه منه فلهذا استأذن (مجلس الناحية) ولم يعط الأمر من تلقاء نفسه ،
فاجابه رئيس المجلس : (ويلك ! . هل اصبت بخبل ! . رجل مثل هذا اريستوقراطي
قضى فصل الشتاء في باريز فتجسس احوالنا واطلع على عوراتنا واستبطن دخائلنا ،
هل يعطى له جواز ليطوف قرى المملكة وانحاءها ؟ ! .) فاجاب الوالي : (اني
علمت خطر ذلك فترددت فلذلك رفعت الأمر اليكم .) فرد الرئيس عليه وقال : (لم
يكن التردد جائزا في مثل هذا الأمر . وكان يجب ان لا تذكر لنا ذلك ابدا .)
فاعترض احد الاعضاء وقال . (نعم ما صنع الوالي ! . انه لم يخطيء . لأنه جعلنا
ننتهز الفرصة بمعرفة هذا الاريستوقراطي من اهل المجمع ، ومثل هذه السعادة
لانظفر بها كل يوم ! .) وعلى اثر هذا نودي دولامبر الى المجلس فلما همّ بالدخول
نبهه الخادم لما يحدق به من المهالك اذا لم يحتط لنفسه بالقول والعمل . فلما مثل
امام اعضاء المجلس شرع يبين لهم ما حمله على القيام بامر قياس المتر ، ودعم اقواله
بالحجج البينات حتى جعل لكلامه حسن اثر ووقع في نفوسهم . غير انه قال في آخر
كلامه انه يود : (ان تكون اتعابه المبذولة في سبيل قياس المتر دليلا على جدارته
لمنصبه في المجمع) . وفي اثناء هذه المحاورات كان (مارا) المعروف بعدائه
للعلماء حاضرا في المجلس ، فلم يكد يسمع ماقاله دولامبر حتى ظهرت بوادر
الغضب والحدة عليه فوثب واقفا وقال : (اتجرأ على التصريح بانتمائك الى المجمع
يا لكع ؟ ! . ولا تخجل من الاعتراف بأنك من رجال لويس الخامس عشر الأراذل
انك علقة في جسد هذه الأمة تمتص دمها . لقد انفق الى اليوم على مشروع مساحة
دائرة نصف النهار مائتا الف . . وما فائدة معرفة قطر الأرض وطوله ؟ . ومانفع
إحداثك المقاييس الجديدة ؟ واي نقص في مقاييسنا الحاضرة ؟. نحن انما يهمنا قطع

دابر الباعة المحتالين لاسيما باعة العلوم المضلة امثالك . اخرج ! . ولا ترنا وجهك بعد الآن . لا بارك الله فيك ! . انك لن تتحول من باريز ابدا ، لأن زمن استئصال شأفة العلماء امثال : لافوازيه ، وقوندروسه ، وشارل ، وبايي . وغيرهم من احلاف الأستبداد ، قددنا وادركنا إبانه .) .

فاه (مارا) بهذه الكلمات وهو ممتلىء حقدا وغيظا وما اتى على آخرها الا وهو على آخر نفس ! . فالتف حوله جماعة من رفاقه ليسروا عنه فانتهزها دولامبر فرصة وغادر القصر الى البيت وعلى وجهه مخائل التاثر والكمد ، وهكذا لزم داره مضطرا بعد ان حيل بينه وبين امضاء عزيمته وقد لاقى في سبيل ذلك من الكوارث والنكبات وتجشم العقبات ما تقف عنده العزائم وينفد دونه صبر الحازم .

غير ان هذا الفلكي الكبير لم ييأس ولم يتسرب الى روحه الوهن والقنوط فكان يقول : (ان هياج الثورة هذا سوف يقر ويسكن . وعندئذ اسارع الى اتمام عملي .) . وحدث بعد هذا وقائع جمة حملته على استئناف العمل على رغم هياج الثورة وبلوغه أشد درجاته .

دمشق اديب التقي البغدادي

هل علمت ؟

أن أحد أساتذة الالمان اخترع آلة يقاس بها المقدرة على العمل فكل امرىء يعرف بواسطتها ما يتمكن من عمله

وأن خليل ابي حيدر من الدامور اخترع آلة صغيرة تولد الكهرباء من الاكسجين الذي في الهواء بدلا من توليدها من الفحم وتسيير السيارات بواسطتها بدون وقود ولا بنزين لكن من الاسف أن هذا المخترع جُنّ ولم يعرف أحد كنه اختراعه

وأن الأرض يزداد وزنها نحو مائتي طن كل يوم لما يهبط عليها من الفضاء من نيازك وأجسام مختلفة

وأنه ولد في البرازيل طفل يشبه قسمه السفلي السمكة تمام الشبه

وأن سمكة ظهرت في البرازيل وزنها ٤٠ قنطارا وقد اشترك في قتلها الأسطول البحري والجوي بافواه المدافع

أيا ليل

وليل ذكرت به صبوتي فعدت إلى الزمن الأول
تجردت عن تبعات الجدود وبتُّ عن الغير في معزل
قست شهبه عن شكاة الهوى وأحدقن شزرا ولم تخجل
أبثُّ بها همّ عصر مضى فتبسم عن عصريَ المقبل
سهرنا وشتان ما بيننا وأين المعافى من المبتلي
* * *
اماني تسامت فمن جلها خيالي وفي شرحها مجملي
وآنست في جنحه وحدتي فبتُّ كأنيَ في محفل
سكون الدجى وجلال الغرام جناحان للشاعر الأعزل
* * *
وعاذلة في الهوى لو درت سمو العواطف لم تعذل
ذكرت (الوئام) فمن عبرة تسيل ومن زفرة تعتلي
كمالك جرّ عليك الفناء اخا الفرد ليتك لم تكمل
كأن الدنا خصّ في واحد فكل يقول الذي فيه لي
* * *
وهاتفة راعها مقدمي فلاذت باغصنها الميَّل
أيا ورق لا تذعري إننا شربنا العواطف من منهل
* * *
أيا ليل ردد صدى من مضى وإن كنت ياليل لم تعقل
فكم بث مثلي اخو حسرة اليك الغرام فلم تحفل
ويابدر كرر حديث الشجون فلولا هوًى بك لم تضأل
* * *
أيا ليل كم فيك من خاطر لذي لوعة بالأسى ممتلي
وكم فعلت فيك مهرانة وكم غلة فيك لم تبلل
* * *
ايا ليل هام بك المغرمون لما فيك من عالم امثل
فراشاً بجنحك حاموا على سنا البدر في جوك المصقل
على رغدٍ أيها النائمون فجفنيَ بالغمض لم يكحل
وياليل رحماك ياذا الجلال ويابدر عطفاً فأنت العالي

النجف — محمد المهدي الجواهري

بنو زهرة الحلبيون

٣

(العلماء المنسوبون الى حلب من عهد دولة التشيع فيها وما بعده من غير بني زهرة)

اعلم ان فريقا من علماء الشيعة الحلبيين الذين خدموا العلم والآداب والمذهب لم تحفل بهم معاجم اخوانهم السنيين على كثرتها وفيها العامة التي لم توضع لرجالهم خاصة وهي لم تبخس كثيرا من غير الحلبيين الشيعة حقهم وقد حفلت بهم كتب رجال الشيعة فقد رأينا خدمة للتاريخ والآداب وسدا لهذا النقص أن نلم بذكرهم بما يتسع له المجال ولا نرى مع توخي هذه الفائدة خروجا عن موضوع المقال فنقول

(١) ابوالصلاح تقي الدين بن نجم بن عبيد الله الحلبي

قرأ على الشيخ الطوسي والمرتضى ره (١) وقد ذكره الأول في كتاب رجاله المسمى بالفهرست فقال

(تقي الدين بن نجم الدين الحلبي ثقة له كتب قرأ علينا وعلى المرتضى يكنى بأبي الصلاح) وفي رياض العلماء ان ذكر الشيخ له هكذا في كتابه مع كونه تلميذا له دليل على غاية جلالة الرجل وعلو منزلته في العلم والدين

---

(١) هو كما قال فيه الأسترابادي «محمد بن الحسن بن علي بن الطوسي ابو جعفر قدس الله روحه شيخ الإماميه ، ورئيس الطائفة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة عين صدوق عارف بالأخبار والرجال والفقه والاصول والكلام والأدب جميع الفضائل تنسب اليه صنف في كل فنون الاسلام وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل وكان تلميذ الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان ، ولد سنة ٣٨٠ وتوفي سنة ٤٦٠ قال ابن الأثير في الكامل في حوادث هذه السنة وفي المحرم ايضا توفي ابو جعفر الطوسي فقيه الامامية بمشهد أمير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلام وكان في بغداد وهاجر منها الى النجف خوفا من الفتن التي تجددت ببغداد واحرقت كتبه وكرسي كان يجلس عليه للكلام

وذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسته وابن شهر اشوب في معالمه وابن داود في رجاله وقال الاسترابادي فيه في الجزء الأول من منهج المقال

تقي بن نجم الحلبي ابو الصلاح ره ثقة عين له تصانيف حسنة ذكرناها في الكتاب الكبير . قرأ على الشيخ الطوسي ره وعلى المرتضى قدس الله روحهما صه (الخلاصه) وفي لم (معالم العلماء) تقي بن نجم الحلبي ثقة له كتب قرأ علينا وعلى المرتضى يكنى ابا الصلاح

وفي أمل الآمل (تقي الدين بن نجم الحلبي ابو الصلاح يروي عنه ابن البراج معاصر للشيخ الطوسي . كان ثقة عالما فاضلا فقيها محدثا له كتب رأيت منها كتاب تقريب المعارف حسن جيد وذكره الشيخ في رجاله (وأورد مانقلناه عنه آنفا) ونقله ابن داود وغيره . ووثقه العلامة في الخلاصة واثنى عليه . وقال ابن داود تقي بن نجم الدين الحلبي ابو الصلاح عظيم الشأن من عظماء مشايخ الشيعة انتهى . وقال منتجب الدين الشيخ التقي بن النجم الحلبي فقيه عين ثقة قرأ على الأجل المرتضى علم الهدى وعلى الشيخ ابي جعفر وله تصانيف منها الكافي اخبرنا به غير واحد من الثقات عن الشيخ المفيد عبد الرحمن بن احمد النيسابوري انتهى

(وقال ابن شهراشوب في معالم العلماء تقي بن نجم الحلبي من تلامذة المرتضى له البداية في الفقه . الكافي في الفقه . شرح الذخيرة للمرتضى (رض) انتهى

وفي روضات الجنات (الشيخ الفقيه النبيه الوجيه الشامي ابو الصلاح تقي الدين بن نجم بن عبيد الله الحلبي الثقة العين الفاضل الإمامي كان من مشاهير فقهاء حلب ومنعوتا بخليفة المرتضى في علومه لكونه منصوبا في البلاد الحلبية من قبل استاذه السيد المرتضى رضي الله عنه كما أن ابن البراج المتقدم ذكره في باب الاحمدين كان خليفة الشيخ الطوسي (ره)

في البلاد الشامية . ولنيابته عنه في التدريس حيث أن كليهما منصوص عليه

وفي رياض العلماء (واذا اطلق الحلبي في كلام الشهيد يراد منه ابو الصلاح لاغير كما أن الحلبيين بصيغة التثنية يراد منهما ابو الصلاح والسيد ابن زهرة صاحب الغنية . وفي صيغة الجمع هما وابو الصلاح الحلبي الى أن قال (والشاميين جمعا عن الحلبيين مع الشيخ محمود الحمصي وابن زهرة وابن البراج كالقاضي للأخير)

وفيه ايضا (أن الشاميين مقيدا بالثلاثة عبارة عن الحلبي . وابن البراج وابن زهرة . ومطلقا عن الثلاثة مع الحمصي

أما تاريخ وفاة المترجم فلم نجد تصريحاً به في كلمات العلماء الذين نرجع الى كتبهم في ترجمته وترجمة غيره في هذا المقال ولاغرو فانهم جروا في ذلك على عادتهم من اغفال تاريخ الولادة والوفاة في اكثر كتب الرجال اللهم إلا القليل ولعل عذرهم أنهم في صدد الجرح والتعديل ومقام ربط سلسلة الرواة والمحافظة على عنعناتها واسانيدها . وليسوا في صدد التاريخ والبحث عن السير . وفي بيان محل الرجال من الوثاقة والعدالة والقوة والضعف غنية عن الافاضة في الترجمة والتعرض لتاريخ ولادة المترجمين ووفاتهم والبحث في احوالهم دقيقها وجليلها اللهم إلا ما له علاقة في الجرح والتعديل

إن عذرهم في ذلك من هو في موقف المحافظ على ربط سلسلة الرواة فلا يعذرهم من هو في موقف المؤرخ المنقب الذي يعنى بأمر الرجال عناية لا يغادر بها من امورهم صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وحسبك أن ابن خلكان قد جعل ضبط تاريخ الولادة والوفاة ركنا من اركان معجمه (الوفيات)

وكيف كان فإن المترجم هو من رجال القرن الخامس الهجري ومن علية علمائه . وقد ذكره الشيخ يوسف البحراني من اعيان العلماء

في القرن الثاني عشر الهجري في لؤلؤة البحرين ولم يزد على ماذكرناه

(٢) الحسن بن حمزة الحلبي

قال صاحب أمل الآمل في حقه (كان عالما فاضلا فقيها جليل القدر)

وقال صاحب روضات الجنات نقلا عن رياض العلماء

(ومنهم (فقهاء حلب) الشيخ العالم الفاضل الفقيه الجليل القدر

الشيخ حسن بن حمزة الحلبي)

ولعله المذكور في بعض اجازات المحقق الشيخ علي بن عبد العالي (ره)

وقد ذكره صاحب الروضات بما هذا نصه

(فمن فقهاء حلب الشيخ الأجل الفقيه هبة الله بن حمزة صاحب الوسيلة

وقد رويت جميع مصنفاته ومروياته بالاسانيد الكثيرة والطرق المتعددة

(٣) الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي

في أمل الآمل (محمد بن علي بن الحسن فقيه صالح ادرك الشيخ اباجعفر

الطوسي (ره) وروى عنه وعن ابن البراج . وقرأ عليه السيد الإمام ابو الرضا

والشيخ الإمام قطب الدين ابو الحسين الراوندي (ره) قاله منتجب الدين

وفي رياض العلماء كما نقله عنه صاحب الروضات ما هذا نصه

(ومنهم (فقهاء حلب) الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن

الفقيه الصالح الراوي عن الشيخ وابن البراج كما نص على ذلك كل

الشيخ منتجب الدين في فهرسته وهو احد رجال سلسلة الرواية للعلامة

رشيد الدين ابن شهر اشوب المتصلة بشيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن

الطوسي (ره) نص على ذلك في مقدمة كتابه المناقب

(٤) الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الحلبي

كان محققاً مدققاً فاضلا صالحا عابدا يروي عن الشيخ الطوسي وعن

ابن البراج هكذا جاء في أمل الآمل

(٥) الشيخ وثاب بن سعد بن علي الحلبي

(فقيه دين اديب قاله منتجب الدين) اورد ذلك صاحب أمل الآمل

(٦) الشيخ ابو علي الحسن بن الحسين بن الحاجب الحلبي

في أمل الآمل) الحسن بن الحسين بن الحاجب فاضل جليل .روى عنه ابو المكارم حمزة بن زهرة)

وفي الروضات نقلا عن رياض العلماء ومنهم (فقهاء حلب) الشيخ العفيف الزاهد القاري ابو علي حسن بن حسين بن الحاجب الحلبي وهو الفاضل الذي يروي عنه ابن زهرة)

(٧) الشيخ ثابت بن احمد بن عبد الوهاب الحلبي

(فقيه صالح قرأ على الشيخ التقي (ره) قاله منتجب الدين)هكذا جاء في أمل الآمل

(٨) عبد الملك بن الفذة الحلبي

(فقيه ثقة قاله منتجب الدين) عن أمل الآمل

(٩) المظفر بن طاهر بن محمد الحلبي

قال في أمل الآمل (فقيه صالح قاله منتجب الدين)

(١٠) الشيخ ابو الحسن علي بن منصور بن ابي الصلاح الحلبي

قال في الروضات . ثم إن من جملة علماء سلسلة صاحب الترجمة (ابي الصلاح المصدر باسمه اسماء العلماء الحلبيين) هو سبطه ونافلته الفاضل الفقيه الجليل الخ ولم يذكره صاحب أمل الآمل

(١١) كتائب بن فضل الله بن كتائب الحلبي

قال في أمل الآمل فقيه دين ورع قاله منتجب الدين

النبطية سليمان ظاهر

طلاب الأفغان في باريز

قبل شهر وصل باريز تلاميذ البعثة الأفغانية الذين ارسلتهم الحكومة لإتمام علومهم في شعب مختلفة تحت نظارة احد اساتذتهم الذي سيبقى معهم دائماً ليراقب حركاتهم الدينية والخلقية . وامس احتفلت بهم ادارة مدرسة اللغات الشرقية الحية ودعت كل تلميذ شرقي في باريز لحضور تلك الحفلة التي اصبحت بعد حضور المدعوين كغرفة جمعية الأمم قد حضرها السوري والمغربي والمصري والإيراني . والأفغاني والهندي والشيني ... وكان المدعوون يطوفون في قاعة الإستقبال ليتعارفوا

ومما هو جدير بالذكر الوفد العلمي الأفغاني الذي مثل بمجيئه الى باريز معهد المدنية الغربية اعظم تمثيل للشرق وعمل عملا يحق لكل شرقي مسلم أن يقتدي به ويجعله قاعدة لكل اعماله . ولا أظن أن امة من امم الشرق المسلمة في هذا العصر أو في العصور المتقدمة تخيلت ما ابرزته إلى حيز العمل تلك الدولة الصغيرة التي ينطق بفضلها كل شرقي . قد مثل هذا الوفد بمجيئه إلى اوروبا — ليت كل شرقي يحذو حذوه — تمثالا مقدساً للديانة الإسلامية واخلاق الشرق وعاداته . كان كل شرقي يأتي إلى اوروبا يخلع زيه ويرتدي لباساً اوروبياً ويجدّ ويسعى في نبذ عاداته واخلاقه حتى لا يعرف أنه شرقي . ولكنه ويا للأسف كان في جميع اطواره مقصراً في تقليد المدنية الغربية فأصبح مذبذباً بين المدنيتين

إن هذه النقطة الجوهرية التي هي في الظاهر بسيطة ولكنها في الحقيقة على جانب عظيم من الأهمية هي سبب تدني الشرق في نظر الأوروبيين إذ ما كل اوروبي قرأ وتعلم عَلِم ماهو الشرق . أوَاذا تعلم في احدى المدارس

يكون دائماً مقوداً بميول المعلم والمؤلف فلو كان كل شرقي يأتي الى اوروبا يحافظ على لباسه واخلاقه ودينه لما حصل ما حصل من جهل الأوربيين الشرق حتى جعل العامة منهم يظنون ظنونا في احوال الشرق ما كتبت في اساطير اليونان ولا في عجائب الف ليله وليله

لو كان كل شرقي الآن في اوروبا يقتدي بالأفغاني لكان خير درس عملي لمعرفة عامة الاوروبيين اخلاق الشرق وعاداته واقول والاسف والغم آخذان بخناقي ان الوفا من الشرقيين في الغرب قد أخذهم التيار فنسوا انفسهم وعما قريب ينسون لغتهم . وصل تلاميذ البعثة الأفغانية إلى باريز بعد أن اجتازوا تلك المسافة الطويلة وهم في كل طريقهم يمثلون الإباء الأفغاني وقد دخلوا مدرسة (القديس ميشيل Lycée Saint Michelet) بالبستهم الملية يحافظون على عاداتهم واخلاقهم ودينهم . وقد خصصت لهم إدارة المدرسة محلا جعلوه مصلى لهم يؤدون فيه صلواتهم الخمس ويقيمون شعائر دينهم

إن قلمي عاجز عن وصف حالهم عند ما جاءوا الى الضيافة بأثوابهم التي هي من مصنوعات وطنهم وبقبعاتهم الأفغانية — كلاه — . ومما زادني تعجباً من تلك الأمة الصغيرة أني رأيت بين التلاميذ طفلا لم يبلغ العشرة من عمره فسألت عنه اخوانه . فأجبت :

إن هذا الولد هو ابن ملكنا المحبوب وولي عهده ارسله معنا ليكون تمثالاً لكل افغاني يقدر منفعة وطنه .

فما سمعت تلك العبارة إلا واخذني حب الإستطلاع فقربت منه وكان يعرف التركية قليلا . وسألته عن سبب مجيئه فأجابني :

إذا أنا لم اهتم وأفدي حياتي بخدمة وطني وارتقائه فمن للوطن ؟

إن هذه العبارة من طفل فضل السفر والمجيء الى اوروبا للتحصيل ، على القعود في قصره الملكي لخير فخر لتلك الأمة التي سيشع نور مدنيتها عما قريب .

فتركته وسألت تلميذاً آخر عما يحصله في باريز . فأجابني بقلب ملوءه الحماسة والإباء بعبارة صغيرة الحجم عظيمة المعنى : (أنا جندي) بن عسكرم

باريز — اديب روماني

الأمير فيصل في الديوان والميدان

٤

المخاطرات الأخيرة

عزمنا على توسيع دائرة اعمالنا ولهذا ذهبنا الى نوري الشعلان وعودة وطلل واستشرناهم فيما يجب ان نستعد له وطلبنا معونتهم لأنهم من رؤساء القبائل المعروفه . فتعهد طلل بالاستيلاء على اذرع وهي محطة واقعة في الجنوب منا ومستودع للحنطة ووعد عودة بالذهاب الى بركة غزالة واستصوب نوري الشعلان ان يسير بطريق دمشق الى درعا عله يلتقي بعساكر الاتراك المنهزمين الضالين . فاستحسنا هذه الخطط واخذ كل على نفسه تنفيذها فساروا في وجهتهم وسرنا في وجهتنا تحت ضوء القمر فاجتزنا قرية شيخ مسكين التي اصبحت خرابا حتى وصلنا الى أنجاد حوران فحططنا رحلنا هناك لنرتاح قليلا وكان حبل نظامنا قد اضطرب بسبب حفر الماء التي كانت تعيق سيرنا فاخذ فريق يشعلون النار وآخرون ناموا على الارض المبللة بالندى وكان الضباب يغطي هذا السهل والبرد فيه قارسا ولم يغمض لنا جفن لان كثيرين فقدوا رفقاءهم فاخذوا ينادونهم حسب عادة سكان البادية . ثم توارى القمر عن العيان وتركنا في قبضة الظلام الحالك نرتعش بردا

وبعد قليل ايقظت حاشيتي وركبنا مسرعين نحو شيخ سعد التي كانت قصدنا فوصلناها عند طلوع الشمس وعند دخولنا اليها رأينا نسيم الصباح يلاعب اوراق الزيتون المرصعة بنقط الندى الفضية وقد ابتدأت حركة الناس في القرية فشاهدناهم خارجين من بيوتهم الشعريه وقد دعونا الى ضيافتهم

وفي تلك الاثناء اتى حرس الليل وانبأنا بأن طلا استولى على اذرع التي دافع عنها عبد القادر الجزائري مدافعة طفيفة . وعبد القادر هذا هو الذي خاننا في درعا سنة ١٩١٧ وقد ذهب هو واتباعه وبعض المتطوعين مع مدفعين وقسم من الجنود وحين وصول طلل انضم اليه المتطوعون والجنود فروا فترك عبد القادر اذرع دون مقاومة وذهب الى دمشق غضبان اسفا . ولم يتمكن طلل من تعقبه لكثرة الغنائم التي غنمها في اذرع . ثم رجع عودة وقال انه اخذ قاطرة متروكة في خربة غزالة وبعض مدافع واسر ٢٠٠ اسير بينهم المان وجاءنا رسول من قبل نوري الشعلان يخبر باذه

اسر ٤٠٠ اسير وغنم بعض مدافع فارسلنا الاسرى الى القرى البعيدة ليشتغلوا هناك وينتظروا ريثما نستدعيهم ثم ابصرنا طيارة انكليزيه تحوم فوقنا وهي لا تدري اعرب نحن ام لا فرسمنا لها علامات على الارض فرمت الينا رسالة ما لها ان بلغاريا سلمت الى الحلفاء. فاستغربنا هذا الخبر اشد الاستغراب لانا لم نكن نعلم ان نار الحرب اشتعلت في البلقان وتفاءلنا بقرب انفراج الازمة والعودة الى الاوطان بعد ان كابدنا من المشقات والاخطار ما كابدنا وكانت هذه الحملة اول عهدنا في الحروب. فاعتقدنا اننا اذا تذرعنا هذه المرة بالشدة والحزم ننتصر الإنتصار النهائي ونحصل على ماتصبو اليه نفوسنا من السلم العاجل.

وبعد ذلك وصل الجيش واخذ يحط احماله بين كروم الزيتون والبلح والتين التي اكتظت بهم فاخذت الجنود تسقي خيلها وجمالها وذهبنا نحن نتجول بين الجنائن نمتع النظر بنبات العليق والاثمار والازهار التي مضى علينا سنون دون أن نشاهدها اذ كنا في الصحاري القاحلة بعيدين عن هذه المناظر الجميلة محرومين تلك النعمة الجزيلة وقد ذعر فلاحو شيخ سعد من منظرنا لأن جيش فيصل كان معروفا في تلك البلاد وكان فيه أهم رؤساء العرب الذين يخوف السكان اولادهم بمجرد ذكرهم لهم فتركنا قومنا يرتاحون من وعثاء السفر وصعدت مع خمسة من رجالي فوق الخراب الذي في ذلك المكان لنعلم مقدار مناعتنا فاشرفنا على السهل الشمالي وبينما نجيل النظر إذ أبصرنا قوما منهزمين وهم خليط من ترك ونمساويين والمان لايزالون بزيهم العسكري ومعهم ثمانية مدافع محملة على ظهور الدواب وقد ولوا الادبار من ارض الجليل نحو دمشق بعد أن كسرهم جيش اللنبي شر كسرة وفرق شملهم وكانوا آمنين مطمئنين كأنهم ليسوا في ساحة حرب فلم ننبيء عسكرنا بأمرهم لنمكنهم من الراحة ولكن عيل صبر بعض القواد الذين معي فدعوا افراد قبيلتهم وباغتوا العدو فقاوم ضباطهم حتى قتلوا جميعا وسلمت العساكر اسلحتها وبظرف خمس دقائق سلب العرب كل ما كان معهم فاخذنا الاسرى الى قصبة منفردة قرب بركة ماء وابقيناهم هناك واتخذنا تلك البقعة مستودعا للاسرى ثم ظهرت ثلاث جموع اخرى من العساكر المنهزمة فبعثنا عليهم عرب الحويطات وبعد ساعة رجعوا وكل منهم يحمل غنيمة اما بغلا او حصانا او جملا وعلى جميعها سيماء الضعف والتعب وقد ظهرت على العساكر علامات الذلة والمسكنة شأن الجندي المنكسر وكانوا خالين من كل معدات الدفاع فترفع العرب عن اسرهم — فوزعناهم

على اهل القرى المجاورة ليستخدموهم لئلا يموتوا معنا من الجوع والمرض

وبعد ساعة جاء ناصي يركض وقال أنه شاهد شراذم من عساكر الأتراك المنهزمة مع ضباطها شرقي جسر بنات يعقوب فارسلنا اليهم بني نعيم وهي من القبائل المعروفة غربي حوران و كان ينضم الينا كثيرون من القبائل المجاورة حتى قدّرنا أن جيشنا بعد يومين سيربو على الستين الفا تحت قيادة الزعماء الذين ذكرناهم وذلك بفضل تحريض علي بن الحسين ونسيب وفايز الذين نشروا هذه الفكرة بين قبائل العرب وشوقوهم الى القيام على الأتراك وبثوا في نفوسهم روح الحماسة والغيرة

ثم مشينا على خط الشام درعا اذ كان لنا غاية من ذلك وبينا نحن سائرون رأينا فجأة دخانا كثيفاً يتصاعد من درعا ولم تمض هنيهة حتى اتانا فارس واخبرنا أن الالمان شرعوا باحراق خمس الطيارات الباقية عندهم ومستودع الذخائر والمؤن فإن الأتراك يتأهبون لإخلاء البلدة . فارسلنا رسلا لتحقيق الخبر وبينا نحن بانتظارهم وصلت طيارة انكليزية واخبرتنا بأن فيلقنا الخامس اصبح قرب رمث وان فصيلتين من فصائل الأتراك تبلغ الأولى اربعة آلاف والثانية الفين سارتا من مزيريب الى جهتنا . فاهتم طلل لهذا النبأ اشد الاهتمام لأن العساكر المذكورة تمر في قريته طفس حسب خطتها فانذرنا قواتنا ودعونا نصف فرساننا واعددنا مدافع السهل ومدفعين جبليين وعزمنا على السير جنوبا ومقاومة العدو في طريقنا وقد استصوبنا أن نستولي على الجسر الواقع جنوبي طفس ثم نباغت العدو من جناحه ورجحنا أن الستة الآلاف هي بقايا الجيش المنهزم امام الجنرال برو (Barrow) وقد التقينا في الطريق بعرب يكبلون بعضاً من عساكر الأتراك ويضربونهم ضربا مؤلما حتى اثر الضرب في اجسادهم وازرقت جلودهم . و كان هؤلاء العساكر من بقايا الفيلق الذي كان في درعا وقد جاروا على العرب جوراً فاحشاً وساموهم انواع العذاب دون رحمة أو حنان فابكوهم بدل الدموع دما ولذلك تغاضيت عن قساوة العرب على الأتراك ليجنوا ثمر اعمالهم وليذوقوا مرارة العذاب فيشعرون بها وينطبعون على الرفق والشفقة ويترفعون عن الظلم والجور

وقد اخبرونا بأن اكثر عساكر الأتراك قد دخلوا طفس وقد شاهدنا سكانها مختبئين بين نبت الشوك وقد روعهم الخوف ورووا لنا عن فظاعة الأتراك ما يدمي الفؤاد . وقد بقينا بين الشوك نرقبهم عن كثب وننظر الى كل حركة من حركاتهم ولم نشأ أن نعمل عملا حتى يتكامل عددهم و كانوا يسيرون نحو شيخ مسكين بانتظام صفاً صفاً

الخيالة في المقدمة والمؤخرة والمشاة في الميمنة والميسرة والمدافع والذخائر في الوسط ولما وصل اولهم الى قرب البيوت سلطنا عليهم مدافعنا فجاوبونا بالمثل ولكن قنابلهم كانت تحلق فوق رؤوسنا وتبلغ مدى ابعد منا . وبالاثناء وصل بيساني ونوري وطلل ورووا لنا الغرائب من اعمال الأتراك الفظيعة في تلك القرية التي اجتازوها فانقضضنا عليهم من الوراء وسلط مشاتنا مدافعهم الرشاشة عليهم .

وكانت القرية امامنا هادئة صامتة لاحسيس فيها ولا انيس يتصاعد منها الدخان كالاتون فسرنا نحوها متحفظين وشاهدنا في طريقنا جثثاً هامدة بين الاشواك وهي جثث العرب الذين قتلهم الأتراك ثم شاهدنا شبحا يمشي مشية المضطرب فاقتربنا منه واذ هو صبي في الرابعة من عمره يسيل منه الدم سيل الماء على اثر جرح بالغ استنزف دمه ولما رآنا ارتعب رعباً شديداً وركض خائفاً ثم وقف وقال (بابا) لا تؤذني فتأثرنا من هذا المنظر خصوصاً عبد المعين لأنه من قريته فرمى نفسه نحوه ليحتضنه فذعر الصبي وصرخ صرخة ثم قضى نحبه فتركناه وتقدمنا نحو القرية وقد ابصرنا عددا من الجثث المطروحة على الأرض من رجال ونساء واطفال وقد علمنا أن مذابح هائلة حدثت في القرية يشيب لها رأس الوليد وقد رأينا جثة امرأة مطوية بعضها على بعض وقد الصق جسدها بالارض بواسطة حربة خرقت ظهرها الى ما بين فخذيها وهي حبلى وشاهدنا جثثا اخرى مشوهة تشويها تقشعر منه الأبدان وتشمئز منه الانظار فعند ماشاهدت هذه المناظر المؤثرة قلت للعرب البطل منكم من يحضر لي العدد الاكبر من قتلى الأتراك . فانطلقوا واخذوا يقتلون كل من شاهدوه منهم دون شفقة ولا حنان

فثارت نار الغيرة والحماسة في نفس طلل الذى كاد يتمزق غيظا وحنقا فامتطى جواده واندفع اندفاع السهم وانحدر في المنحدر الطويل الذي هنالك كالصاعقة نحو العدو فاخذ الجنود يحدقون به ولم يبد احد حركة ولما صار على مقربة من العدو صرخ صرخة المهاجم طال طلل فصوبوا مدافعهم وبنادقهم نحوه وارادوه قتيلا هو وجواده واصبح جسمه مثقوبا كالغربال

فحزن عودة عليه وقال رحمه الله وان شاء الله نثأر له ثم ادار عنان جواده نحو العدو وشرعنا نحن بإرسال الفلاحين الذين استولى عليهم الرعب في اثر الأتراك بقيادة عودة فهجم هجمة الأسد للمدافعة عن اشباله وفرق فرقة الاتراك الى ثلاثة اقسام وحصرهم في مضيق عرقل كل حركاتهم ومنعهم من حرية العمل وكان القسم

الثالث اصغرها واكثره من مدفعيي الالمان والنمساويين وهو يحيط بثلاث سيارات (اوتوموبيلات) ضباطها فيها . وكان دم العرب يغلي ونفوسهم تتلهب للانتقام فاصدرت امري لاول مرة بتاريخ الحرب بأن لا يأتوا باسرى الاتراك بل يقتلوا كل من يصادفونه ثم تركنا هذا القسم وجدنا في اثر القسمين الآخرين وكان ينضم الينا كثير من سكان القرى المجاورة فيأخذون اسلحة العدو التي اغتنمناها وينضمون الينا وبهذه الواسطة شتتنا شمل العدو وفرقنا جمعه وتركنا السهل ملآن بجثث قتلاهم وكنا نترع ادمغة الجرحى تشفيا وانتقاما . وقد اخذت فصيلة من فصائلنا ٢٥٠ اسيراً لانها لم تعلم الامر الذي صدر

فسمعت ضجة بين العرب وفهمت أن ظمأهم حبا بالانتقام لم يرتو بعد فعجبت وبحثت عن السبب فأروني رجلا خرق الرصاص فخذه فسال دمه على الارض وقد مزقت الحراب جسده فاصبح كقفير النحل وقد الصق جسده بالارض بحربة كما تلصق الحشرة على الخشب بالدبوس لحفظها . فسألناه من فعل به هذا الفعل الشنيع فاشار الى الاسرى فصوبنا مدافعنا نحوهم واهلكناهم جميعا

وقد بقيت كئيبا حزينا لا يهدأ لي بال ولا يقر لي قرار اسفا على طلل الفارس الكرار والبطل المغوار والقائد الشجاع وقد حاولت أن اتناساه فلم اتمكن ثم احضروا لي ناقة فركبتها وذهبت مع نفر من صحبي الى شيخ مسكين حيث قومنا يطاردون فرقة درعا فاهتدينا اليهم بواسطة الطلقات النارية لأن الظلام كان دامسا

وكان الظلام حالكا والبرد قارسا والعرب لايزالون يقتفون اثر الأتراك الذين دب الرعب فيهم ووقع الخلل في صفوفهم فتشتت شملهم وتمزق جمعهم ودهم بعضهم النعاس فناموا حيث هم وآخرون هاموا على وجوههم تارة يطلقون الطلقات النارية وطورا يفرون وتسرب الاضطراب الى العرب ايضا فانفرط عقد نظامهم وصاروا في ارتباك

وهنا لا بد لي من الاعتراف بثبات اعدائي الالمان ورباطة جأشهم وقوة قلوبهم فإنهم رغما عن الاخطار المحدقة بهم من انقطاع الأمل وعدم معرفة الطريق وعدم وجود قوة كافية تدرأ عنهم هجمات العدو كانوا سائرين شمالا سير الأبطال مع أن الظروف التي وجدوا فيها تحط من همة الأسود وتصير الشجاع جبانا وقد مشوا بهدوء تام عصبة واحدة يخترقون الصفوف كالسفينة تمخر عباب الماء غير مبالين ولا مكترثين واذا هوجموا وقفوا وقابلوا المهاجم بالمثـل ثم تابعوا سيرهم ببطء شديـد وانني

اكبر عملهم المجيد اشد الإكبار وهذه اول مرة اظهرت اعجابي ببسالة اعدائي وبعد مشقات عظيمة وصعوبات جمة عثرت بخالد فطلبت منه أن يجمع عرب الرولة ويترك ما بقي من الأَعداء لفلاحي القرى لأن الباقين منهم نهكهم التعب واستولى عليهم الضعف والهون فصاروا كالنعاج ونحن مضطرون الى الذهاب جنوبا حيث شغلنا المهم

وقد شاعت اشاعة في طفس ليلا أن درعا أُخليت وان طراداذهب مع عرب عنزه لتحقيق الخبر فخشيت أن لا تكون معان قد اخليت تماما وأن لا يكون الجنرال برو قد اتصل مع العدو فتلوذ بالفشل والانكسار بعد الانتصار الباهر الذي احرزناه يكون شؤما علينا وضربة قاضية على آمال العرب الذين يحاربون معنا . فطلبت من خالد أن يسرع الى معاونة اخيه فانصاع الى قولي واخذ يدعو القوم الى الذهاب معه فاجتمع لديه عدد كاف من فرسان وهجانة وسار نحو درعا وقد حدثت وقائع طفيفة بينه وبين العساكر المنهزمة في طريقه فقطع خنادق الأتراك ووصل الى درعا واشتغل هو وقومه بالسلب والنهب من المستودع الذي احرقه الالمان فعرضوا انفسهم الى خطر النار غير مبالين وكانت تلك الليلة من الليالي المرعبة رخصت فيها النفوس وبينا قومنا ينهبون اذ بآخرون يقتلون . وفي الأثناء حصلت ضجة في شيخ سعد وكثرت الطلقات النارية من جنودنا الذين هناك وقد هموا بقتل الاسرى الذين معهم اخذا بثأر طلل . ثم حصل انشقاق بين البدو انفسهم بسبب وجود رؤسائهم معي وانهماكهم بمطاردة الأتراك وعادت روح التحاسد والتنافس الى عشائرهم فاسرع نوري السعيد وناصر وبونك وونترثون وتلافوا لأمر قبل تفاقمه ووصلت انا الساعة الثانية ليلا وكانت رسل طراد رجعت وابلغتنا ما جرى في درعا فخف ناصر اليها وعزمت على الاستراحة قليلا اذ مضى علي اربعة ايام على ظهر ناقتي ولكن دماغي كان منهمكا في امور شتى فلم استطع الراحة فاحضروا الي ناقة ثالثة فركبتها وسرت بسرعة الطير الى درعا فدخلتها عند طلوع الفجر فدلوني على محل ناصر عند شيخ البلد فبقينا هناك ريثما نظمنا الحكومة المحلية ودائرة الشرطة ثم جاء الكشافة واخبروني بانهم شاهدوا الجيش الانكليزي وتبادلوا الاشارات معه فخرجت الى اول منحدرات البويب وهناك لقيت الجنرال برو وانتهت حملتنا والسلام

صيدا الطبيب

شريف عسيران

العناية

ما للعناية امست ملعب الفتن | في الشرق اخنى عليها حادث الزمن
ومالقومي هم ساهون عن طلب الـ | علياء لاهون بالأحقاد والاحن
راموا المذلة واختاروا الخمول لهم | داباً ولم ينهضوا من رقدة الوسن
حيث العناية في اوطاننا جهلت | وفي المغارب ملء العين والأذن
باتت كأني بها والشرق مغفلها | تقول ان شئت شأواً فاغترب ترني
انظر الى الغرب انى عادم تقيا | ولا غرابة ان قلدته مني
انا التي سمته نيل العلا طلبا | فماد يزهو قرير العين وهو هني
وعصبة الشرق لم تنهض لمستبق | منقادة بزمام الجهل والجبن
سطا الخمول عليها في فيالقه | فاصبحت عرضة الارزاء والمحن
بينا ترى الغرب في العصر الاخير شآ | اوج العلا وترقى ذروة القنن
فقمت اندب شرقا غير منصرف | عن الجهالة في سر وفي علن
اذلم اجد من همام باسل ولهٍ | الى الفخار ونزاع الى الوطن
كأننا ودياجي الجهل غاشية | لم نعتمد قط إلا الجهل من ركن
وفاتنا ان عقل المرء قيمته | وفضله الجم غير الجسم والبدن
وأن علما به تسمو النفوس الى | اوج الكمال لعمري حلية الزمن
متى ارى الشرق يزهو في حضارته | مجددا عهد اسلاف ذوي فِطن
متى ارى العلم قد أمت مناهله | ابناء يعرب من شامي ومن يمني
متى ارى الكل قد هبّوا باجمعهم | والشرق يسناء من ميل الى افن
وان دعوا لمجال السبق في طلب | لم الف فيهم سوى كل امرء فَطِن
[يجول في مشرق الدنيا ومغربها | ثباتهم جولان القرط في الأذن]

صيدا | محمد كامل شعيب

﴿ شعراء الشيعة ﴾

٤

القرن الثاني

نبغ في هذا القرن شعراء بلغاء يشار اليهم بالبنان ويعدون في الطبقة الأولى وها نحن نلم بذكرهم وجيد شعرهم بما يسمح به المقام

١
الفرزدق

هو همام بن غالب كنيته ابو فراس توفي سنة ١١٠ من الهجرة وينتهي نسبه الى بني تميم وهو صاحب جرير الشاعر المشهور وكان بينهما منافسة وهجاء . وكان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم وامه ليلى أخت الأقرع بن حابس ولأبيه مناقب مشهورة ومحامد مأثورة وجده صعصعة بن ناجية كان عظيم القدر في الجاهلية واشترى ثلاثين موؤدة منهن بنت لقيس بن عاصم وفي ذلك يقول الفرزدق مفتخرا

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوئد

وهو أول من اسلم من اجداد الفرزدق وذكره في الإستيعاب من جملة الصحابة وقيل أنه أحيا الف موؤدة وحمل على الف فرس

وتنسب للفرزدق مكرمة يرجى له بها الجنة مع كثرة ما نسب له من المثالب وهي أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه فطاف وجهد أن يصل الى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه وجعل ينظر الى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة أن يرغب فيه اهل الشام فيملكوه وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامي من هو يا أبا فراس فقال

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمى الى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

في كفه خيزران ريحه عبق ... من كف اروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم

ينشق نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم

منشقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

الله شرفه قدما وعظمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم

فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم

كلتا يديه غياث عم نفعهما ... تستوكفان ولا يعروهما عدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

حمال أثقال أقوام اذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم

ما قال لا قط الا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم

لا يخلف الوعد مأمون نقيبته ... رحب الفناء اريب حين يعتزم

عم البرية بالاحسان فانقشعت ... عنها الغيابة والإملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهمُ ... كفر وقربهمُ منجى ومعتصم

إن عدّ أهل التقى كانوا ائمتهم ... أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهمُ قوم وإن كرموا

هم الغيوث اذا ما أزمة ازمت ... والأسد اسد الشرى والباس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من اكفهم ... سيان ذلك ان اثروا وان عدموا

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم خيم كريم وأيد بالندى ديم

أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا أو له نعم

من يعرف الله يعرف أوليته والدين من بيت هذا ناله الأمم

ولما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق وأنفذ له زين العابدين اثني عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطاء. فقال إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده (١) والله عز وجل يعلم نيتك ويثيبك عليها فشكر الله سعيك فلما بلغته الرسالة قبلها . وهجا هشاماً وهو في السجن فقال

أتحبسني بين المدينة والتي اليها رقاب الناس يهوي منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها (٢)

والفرزدق لقب غلب عليه وهو العجين الواحدة فرزدقة وإنما لقب به لأنه أصابه جدري وبرأ منه فبقي وجهه جهما محمرا منتفخا

و كان الفرزدق وجرير والأخطل اشعر الإسلاميين والأخير مسيحي كما هو مشهور والكثيرون يفضلون الأخيرين عليه وقد انصف الأصفهاني فقال أما من كان يميل الى جودة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل الى اشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح والى الغزل فيقدم جريرا

وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت أحدا على شيء من الشعر فقال لا لم أحسد على شيء منه إلا ليلى الأخيلية في قولها

ومخرّق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما

حتى إذا رفع اللويُ رأيته تحت اللوي على الخميس زعيما

لا تقربنّ الدهر آل مطرف لا ظالماً أبداً ولا مظلوما

قال على انني قد قلت

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب

---

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٩٦ - ٢٠٠

(٢) الدميري ج ١ ص ١٢ وامالي المرتضى ج ١ ص ٤٩

سروا يخبطون الليل وهي تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب
إذا ابصروا ناراً يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلى بل هي أجزل ألفاظا وأشد أسرا إلا أن أبيات ليلى أطبع وانصع . . وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والإستكثار لقليله والإفراط في استحسان مستحسنه

وكان شيعيا مائلا إلى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخا من الدين جملة ولا مهملا أمره أصلا

وروي أنه تعلق بأستار الكعبة فعاهد الله على ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما وقال

ألم ترني عاهدت ربي وإنـني لبين رتاج قائمـاً ومقام
على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً ولا خارجا من فيَّ زور كلام
أطعتك ياإبليس تسعين حجة فلما قضى عمري وتمّ تمامي
فزعت إلى ربي وأيقنت أنني ملاقٍ لأيام الحتوف حمامي

وروى ادريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان أوثقنا بالله فقال له رجل ألك هذا الرجاء والمذهب وأنت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال أتروني لو أذنبت ذنبا إلى أبويّ أكانا يقذفاني في تنور وتطيب أنفسهما بذلك فقلنا لا بل كانا يرحمانك فقال وأنا والله برحمة ربي أوثق مني برحمتهما (١)

وروى الفرزدق عن علي والحسين وابي هريرة وابن عمر وابي سعيد الخدري ووفد على الوليد وسليمان بن عبد الملك ومدحهما . وروى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرك فإذا في رجليه قيد قلت ما هذا يا أبا فراس قال حلفت أن لا أخرجه من رجلي حتى أحفظ القرآن وكان كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به إلا قام معه وساعده على بلوغ غرضه

---

(١) امالي المرتضى ج ١ ص ٦٣ — ٦٦

وقال قد علم الناس أني أفحل الشعراء وربما أتت عليَّ الساعة وقلع ضرس من اضراسي أهون علي من قول بيت (١) ومن جيد شعره قوله

قالت و كيف يميل مثلك للصبا … وعليك من عظة الحليم عذار

والشيب ينهض في الشباب كأنه … ليل يصيح بجانبيه نهار

إن الشباب لرابح من باعه … والشيب ليس لبائعيه تجار (٢)

وهو من اصحاب الملحمات وملحمته فائية مطلعها

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف … وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

ومنها

ويبذلن بعد اليأس من غير ريبة … أحاديث تشفي المدنفين وتشغف

إذا هنَّ ساقطن الحديث حسبته … جنى النحل أو أبكار كرم تقطف

ومنها

وبنيان بيت الله نحن ولاته … وبيت بأعلى إيلياء مشرّف

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا … وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ولا عز إلا عزنا قاهر له … ويسألنا النصف الذليل فننصف (٣)

وله مخاطبا آل مروان

إن تنصفونا يالَ مروان نقترب … اليكم وإلا فأذنوا ببعاد

وفي الأرض عن ذي الجور منأى ومذهب … وكل بلاد أوطنت كبلادي

وماذا عسى الحجاج يبلغ جهده … إذا نحن خلفنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف … كما كان عبداً من عبيد أياد

زمانَ هو العبد المقر بذلة … يراوح صبيان القرى ويغادي (٤)

ومن احاسن فخره بقومه قوله

إن الذي سمك السماك بنى لنا … بيتا دعائمه أعز واطول

---

(١) معاهد التنصيص ج ١ ص ١٧ – ١٨ (٢) حماسة البحتري ص ١٨٣
(٣) الجمهرة ص ١٢٦ – ١٢٩ (٤) حماسة ابي تمام ج ١ ص ٧٥ – ٧٦

بيتا بناه لنا المليك وما بنى ملك السماء فإنه لا ينقل
بيتا زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
يلجون بيت مجاشع فإذا احتبوا برزوا كأنهم الجبال المثل

قال بعض مجانين أهل مكة ما سمعت بأكذب من بني تميم زعموا أن قول القائل بيتا زرارة (البيت) أسماء رجال قلت وما عندك أنت فيه قال البيت بيت الله والزرارة الحجر زرت حول البيت ومجاشع زمزم جشعت بالماء وابو الفوارس هو ابو قبيس جبل مكة قلت له فنهشل ففكر فيه ساعة ثم قال قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود فذاك النهشل (١) وللفرزدق قصة بمناسبة هذه الأبيات مع جارية كنا نود ذكرها لولا الإطالة وله اخبار كثيرة واشعار جمة وقد طبع ديوانه في اوروبا ومصر وبيروت وطبع احد المستشرقين مناقضات جرير والفرزدق في المطبعة اليسوعية طبعا متقنا وقد ناهز سنه مائة عام ولما مات رثاه جرير بقوله

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل ولا ذات بعل من نفاس تعلت
هو الوافد الميمون والراتق الثأى إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت

كلمات

إن الأثمار الناضجة والمنتجة بعناء وحكمة تتأخر دائماً عن اوانها

المرء الذي يريد لنفسه الموت لا يصاب باذى — الحنو يعمي الآباء

الشتاء فصل اللهو عند الأغنياء والدموع عند الفقراء

تفاوت الرجال يكون بالاخلاق والقلوب

نحب دائماً المعجبين بنا ولا نحب من نعجب بهم — الحب اكبر المملقين

العبودية تذل الرجل اكثر من كونه محباً

لا تخلو البحار من الأنواء والزوابع ، وحياة الإنسان من المتاعب والدموع

إن الرجل الذي يقف في ساحات الحروب معرضاً نفسه لكرات المدافع وطلقات البنادق لا يعد اشجع ممن يقف أمام مصاعب هذه الحياة بقدم ثابته

صور — سليم ابو جمره

(٣) معاهد التنصيص ج ١ ص ١٧

بين اكلة لحوم البشر

٣

في الغابة

بعدأن ودعنا الناغابات طفقت افكر في كيفية الدخول الى غابته متأملا في الخطر العظيم الكامن لنا في تلك الغابة كمون النار في الحجر و كان يتنازعني عاملان عامل الثقة بتلك البرابرة وعامل الرعب المتأصل فيّ منذ زيارتي الاولى لجزيرته ومما زاد في حذري وتخوفي ما علق في ذهني من نصائح التجار الخبيرين ورجال الحكومة في ڤيلا الذين اجمعوا كلهم على تجنب دخول تلك الغابة التي لم يخرج منها داخل الاالاني عدت فقدرت ثقة الناغابات بنا حق قدرها لأنه لم يخش اختطافنا اياه كما يفعل بعض التجار الذين يختطفون البرابرة لاستخدامهم في بعض المستعمرات فاخذت اناجي نفسي قائلا: ايثق بنا ذلك البربري ولا نثق به؟ ايكون اخلص نية مناواحسن طوية ؟!! وهكذا ظللت في تفكير وتأمل الى أن حان وقت الرقاد فاستسلمت للهجوع منتظرا مايجيء به الغد. وفي الصباح التالي استيقظنا على لغط البرابرة وهتافهم وعند ما دنونا الى الشاطىء رأينا نحو العشرين منهم ينادوننا مشيرين الى بعض رزم يحملونها فاتجهت مع الموسيو مازوير نحوهم ولما بلغنا الشاطىء الفينا معهم هدايا من الناغابات الى اوزا ولم تكن تلك الهدايا سوى بعض اثمار جوز الهند وغيرهامن فواكه البرية ولما اردت استلامها منهم أبوا قائلين هذه الهدايا من الناغابات الى (ماري) اى زوجتي فلم اكد اصدق ماسمعت لأني لم أشاهد قبلئذ بربريا قط يحترم المرأة اويعدها شيئا يستحق الذكر بل يستخدمها كما نستخدم الحيوانات ولا تنال جزاء اعمالها سوى الصفع والشتم وفضلا عن ذلك فالبربري يبيع زوجته متى شاء بعدد من الخنازير او غيرها . لذلك قفلت راجعا وانا بين الشك واليقين — الى السفينة واحضرت اوزا الى الشاطىء. فلما ابصروها هتفوا لها فرحين ووضعوا هدايا مليكهم عند قدميها . فازداد احترامي للناغابات وعظمت ثقتي به إذ ظهر لي انه رجل قانوني وسياسي معا لأنه رأى اوزا موضع احترام وتجلة عند جميعنا فادرك انها السوار الذهبي لحملتنا الاستكشافية لذلك عزم على مجاراتنا في احترامها وقد اصاب في ادراكه وعزمه . ثم دعونا غلماننا وسائر الرفاق

وشرعنا نمشي الهوينا على الشاطىء والزنوج يحفون بنا مراقبين حركاتنا وكلنا كنا في انتظار الناغابات الذي ابطأ بقدومه فاخذنا نتلهى بتصويرهم وهم قاعدون القرفصاء ثم أفهمتهم ان في نيتي احياء ليلة اريهم فيها صورهم تتحرك وقد احضرت معي جميع الادوات والآلات اللازمة مع صور البرابرة في الزيارة الاولى وقد كان شوقي عظيما لتلك الليلة لأني تيقنت أن الناغابات ورجاله — الذين دهش بعضهم بمشاهدة صورهم غير متحركة — سيطأطئون رؤوسهم رعبا واجلالا امام مبتكرات العلم الحديث . اما البرابرة الذين كانوا حولنا فكلهم كانوا مدججين بالاسلحة النارية من بنادق وغيرها ولم اشاهد معهم من السلاح الابيض الا قليلا .

مالت الشمس عن خط الهاجرة ونحن لاهون باجتلاء المناظر وتصويرها والزنوج ينظرون الينا شزرا كأنهم يرومون الفتك بنا ولحظ غلماننا ذلك فظلوا يراقبون حركاتهم وسكناتهم والحق يقال أن اصواتهم المتهدجة ووجوههم الكالحة العابسة وخطواتهم التي كانوا يختلسونها اختلاسا كاللصوص ، وتكاثر عددهم من وقت الى آخر ، كل هذه الامور لم تكن تبعث فيَّ الطمأنينة بل الوجل والحذر الدائمين ، ولما حان المغيب ورد علينا وفد من قبل الناغابات يطلب الينا زيارة الناغابات في عاصمته حيث نشاهد بلاطه وزوجاته الملكات واولاده ، ونتفقد احوال رجال حكومته واعوانه وقد تعهد لنا الوفد باسم الناغابات مليكهم ألا نمس بسوء ولا ننال بأذى .

فافهمت رجال الوفد قبولي اقتراح الناغابات شاكرا فرحا فكروا على اعقابهم مسرعين ليعلموه بالامر ومن ثم عدنا الى السفينة تاركين الزنوج العشرين المارذكرهم في انتظارنا على الشاطىء حتى الصباح وقبل أن ينبثق نور الصباح افقنا من رقادنا وبعد أن اعددنا كل لوازم الزيارة انحدرنا نحو الشاطىء ولا تسل ايها القارىء عن مقدار دهشتنا وحيرتنا عندما لم نجد احدا من زنوج الناغابات الذين تركناهم في انتظارنا في تلك الساعة اخذ الارتياب يختلج في جناني وحسبت ان الناغابات رام خدعنا ونوى الايقاع بنا ، نعم خامرنا الشك في صدق الناغابات لكننا لم نجزع لأنه كان لدينا قوة مسلحة مؤلفة من ٣٢ شخصا يتقنون الرماية وبهذه القوة كنت اقدر أن اقابل الفا من اولئك البرابرة الذين لا يصيبون الهدف الا عن كثب انما خوفنا كان منهم وهم كامنون حيث يروننا ولا نراهم . فاوعزنا الى الغلمان بأن يحملوا الصناديق والامتعة التي اعددناها الا انهم ابوا ذلك ولم يقبلوا أن يحملوا شيئا سوى بنادقهم

عندئذ بدأنا نحس بجسامة الخطر وهوله ، ولكي نرد اليهم قوتهم المعنوية حمل كل منا شيئا من الامتعة فتشجعوا وحملوا ما اصابهم ثم طفقنا نجد السير مخترقين الغابة الاولى المنتشرة على سفح جبل عال صعب المرتقى وعر المسلك اما الطريق فاشبه بنفق القطار الحديدي لأنها ضيقة ونور الشمس لا يلامس ارضها لما حولها من الاشجار الكثيفة المشتبكة الافنان . ومما زاد في وعورة المسلك الاشواك التي كانت تعترضنا في سيرنا والجداول التي كانت تتخلل الطريق فلم نكن نأمن العثار فترة من الزمن اضف الى ذلك بلبلة افكارنا وكثرة هواجسنا وخوفنا من كامن مفاجيء وبينانحن سائرون اذا بجلبة علت في الجهة التي كنا سائرين فيها فهلعت قلوبنا وعرا وجه اوزا الشحوب فشجعت الرفاق والغلمان واعدد كل منا سلاحه ومشينا باقدام ثابتة الى الامام فلم يمض الا القليل حتى فهمنا من غلماننا أن بعض اولئك البرابرة كانوا يصطادون خنازير برية . وهكذا ظللنا نواصل السير تتنازعنا عوامل اليأس والرجاء مجتازين قمماً كثيرة حتى بلغنا اعلى قمة في شمالي ماالكيولا عند الظهر وهناك الفينا مروجة فيحاء تتخللها اشجار جوز الهند وغيرها من اشجار تلك الجزيرة التي كان منظرها يأخذ بمجامع القلوب ويخلب الابصار فوقفنا هنيهة نمتع الطرف بما انعم الله على تلك الجزيرة من روائع الجمال وبدائع الجلال وفيمانحن على تلك الحال والتعب اخذمنا كل مأخذ اذا بعشرين زنجيا وردوا علينا من خلفنا ولما دنوا منا افهمونا انهم قادمون من عند الناغابات لملاقاتنا فأخذوا امتعتنا منا وحملوها ثم اشاروا علينا باتباعهم وبعد مسير نحو ميل اتوا بنا الى فسحة كبيرة مكتنفة بالاشجار وفي وسطها كوخ كبير لم يكن في وسطه سوى طبول كبيرة يستخدمونها في ايصال الرسائل من قرية الى اخرى وفي ساعات الرقص والطرب وهم يسمونها «بوبو» بلغتهم فدخلنا ذلك الكوخ كي نستريح فالفينا فيه ثلاثين بربريا مدججين بالسلاح الكامل ففهمنا انهم كانوا في انتظارنا ولما دخلنا حييناهم فلم يردوا التحية بل نظروا الينا نظرات شفت عن غدر وسوء نية ثم التفتنا الى كل الجهات فلم نجد للنساء والاولاد من اثر فاسقط في أيدينا لعلمنا أن البرابرة يبعدون اولادهم ونساءهم في ساعات الخطر ، فدنونا بعضنا من بعض وسمات الغم والكدر بادية على وجوهنا ثم أخذنا ننظر الواحد الى الآخر لعلنا نلفي مخرجا من ذلك المأزق الحرج حتى دخل علينا رجال وفد الناغابات وافهمونا أن نتبعهم فلحقنا بهم على الاثر ولم نزل نجدّ السير حتى بلغنا الفسحة الكبرى

اوقرية الناغابات المؤلفة من بعض اكواخ كبيرة في داخلها طبول ضخمة جدا وقطع خشبية للوقود وهنا ايضا الفينا اكثر من ٢٠٠ بربري في انتظارنا وكلهم في السلاح الكامل فدخلنا احد الاكواخ الكبيرة وجلسنا على طبل كبير كانوا قد أعدوه لنا ثم ضرب احدهم على طبله ضربة قوية ترجع صداها في انحاء الجزيرة وبعد هنيهة اقبل الناغابات مليكهم يحف به البعض من رجاله وحشمه فدخل علينا بأبهة وجلال ولما دخل اخذ يتأمل من في (القاعة) ثم صاح بهم صيحة ارتج لها المكان فانشط اولئك البرابرة الكسالى ووقفوا بين يديه يتوقدون غيرة وحمية منتظرين اوامره العالية ثم دخل بعضهم يحمل العرش الملكي الذي لم يكن سوى جذع من جذوع الأشجار ووضعه بجانب مقعدنا فما استوى الناغابات على عرشه حتى وقفنا (الحملة الاستكشافية) واخذنا نصافحه بالأيدي مصافحة عوده اياها التكرار فحيانا باشاًوامر لنا بالجلوس فجلسنا. لا يسعني الا الافصاح بأن مقام الناغابات الرهيب وموقفه المهيب بلغا مبلغاً عظيما من التأثير في قلبي لأن ابهة الملوك كانت تتجلى عليه وجلال العظماء كان يبدو في كل حال من احواله وقد استقصيت الحقيقة اثناء اقامتي في ضيافته فعلمت انه لم يغتصب الملك اغتصاباًبباسه وشدةمراسه شأن غيره من ذوي البأس بل هو ملك ومن سلالة الملوك وهو البربري الوحيد الذي انتقل اليه الملك بالارث

وبعد أن حيانا الناغابات اصدر امرا عاليا لأحد اعوانه فخرج من القاعة وفي اقل من لمح البصر عاد وبيده انبوبة غليظة من الخيزران الهندي مملوءة ماء فقدمها للناغابات الذي شرب منها وقدمها لنا لنشرب فانفنا في بادىء الأمر أن نشرب من انبوبة لامستها شفاه برابرة يأكلون لحوم البشر ولكنا عدنا فشربنا بكل شكر وسرور لأنه تبين لنا أن تلك الأنبوبة تسمى عندهم انبوب السلام والأمان ومتى سقوا ضيفهم منها فلا خوف عليه !!!

فنهضت على الفور مستبشرا وقدمت للناغابات هدية ملكية جلها من سكاكين جميلة الصنع وانسجة بديعة الإتقان ورزم تبغ لم يحظَ بربري بمثلها . واوعزت للغلمان بأن يقدموا لكل من رجاله رزمتين من التبغ ، ففرح البرابرة بالهدايا واخذ بعضهم يدخنون التبغ المعطى لهم وامارات السرور بادية عليهم غير أن كثيرين التهموا التبغ التهاماً كأنه فاكهة او نوع من الحلوى . ولما آنست منهم انبساطا وارتياحا وتحقق لدي اننا اصبحنا في مأمن ، اعددت آلات التصوير وشرعت آخذ صورهم

على هيئات مختلفة مدة ثلاث ساعات عندئذ خطر لي أن اصور احدهم داخلا كوخه او خارجا منه لأن ابواب اكواخهم صغيرة جدا حتى لا يتمكن الداخل والخارج من دخوله وخروجه الا بأن يحبو على يديه ورجليه معا فقدمت لأحدهم رزمة تبغ وطلبت اليه أن يدخل كوخه ويخرج ففعل وهكذا تسنى لي منال مطلبي ولكن بعد تأدية الرشوة .

وبعد الظهر قدموا لنا النساء والاولاد ، والحق يقال أني لم ار مدة حياتي كلها احدا من البشر اتعس جدا واشقى حالا من تلك النسوة اللائي لا يفرقن عن الوحوش بشيء وليس لهن من يعبأ بهن ويهتم بشؤونهن .

ليس لباسهن سوى (تنانير) من اوراق الشجر وسائر الأعشاب تتدلى من خصورهن حتى الركب ونوع من البراقع المختصة بالارامل عندنا الا انها مصنوعة من اوراق الشجر والياف بعض النبات ولكل برقع ثقب تنظر منه المرأة ويلي البرقع من وراء الرأس ثوب من ورق الشجر يمتد حتى يكنس الثرى . هذه صورة مصغرة للباس تلك المرأة المنكودة الحظ وفضلا عن ذلك كله فهي ليست انظف من الخنازير التى ترعى بجانب كوخها والناظر اليها يرى طبقات القذر متلبدة على جسمها وما ذلك الا لأنه يحظر عليها أن تمس الماء من مهدها حتى لحدها اذ الماء من المحرمات على المرأة البربرية ولما تناولت آلة التصوير كي آخذ صورهن هربن واختبأن في الاكواخ غير أن الناغابات امر باخراجهن فخرجن مرغمات والدموع تسح على وجناتهن ولم تكن زوجات الناغابات احسن حالا وانعم بالا من سواهن بل كن كسائر الزنجيات في لباسهن وتعس حالهن ولما قدمت لهن اوزا بعض العقود والحلويات لم يلتفتن اليها بل كانت جل رغبتهن في انجازي عملي حتى يأوين الى خدورهن لذلك اسرعت في عملي واخليت سبيلهن

رأيت الخدام من اولئك البرابرة اذلاء لا يجسرون على النظر الينا اما الاشراف اعني سادتهم فكانوا يطوفون بيننا باسمين وكثيرا ما كانوا يجسون جسومنا وثيابنا كأنهم يعرفوننا منذ سنين عديدة ولكن النساء كن يهربن حالما ندنو منهن وهكذا قل عن الاولاد فإنهم كانوا يعتصمون بالغابة خوفا منا كأنهم ارانب برية .

فلما اطمأنت قلوبنا ولا سيما بعد مشاهدة نسائهم واولادهم اخذنا نتفقد الاكواخ فالفيناها خاوية خالية من الاثاث الا الرماد المتراكم ولم يكن كوخ الناغابات بأحسن من سواه من هذه الجهة بل كان اكبر وبناؤه امتن وكان منفردا عن سائر الاكواخ

ولم يكن سقفه سوى بعض القضبان والاوراق

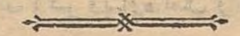
وعند المساء اوقدنا نارا لنطبخ طعامنا فاحاط بنا الزنوج وطفقوا ينظرون الينا بدهشة واستغراب لأنهم لم يتعودوا أن يروا مواقد (غاز) ولا الفوا طبخ الطعام كما في العالم المتمدن .

والأمر المضحك هو أن كل بربري يجب ان يطبخ لا بل يشوي طعامه بيده اذ من المحرمات ان يأكل احدهم طعاما من يدمن هو ادنى منه ولا ان يصطلي بنار اوقدها شخص ادنى منه فكان كل منهم طاهيا لنفسه حتى الناغابات نفسه مضطر ان يوقد النار ويشوي طعامه لنفسه ولا يمكن لأَحد ان يشاركه في طعامه لأَن هذا ايضا من المحرمات فالدنيء لا يشارك من هو ارفع منه بطعامه فلم تكن نساء الناغابات تجسر على مشاركته في الطعام لأنهن ادنى منه والناغابات هذا له مائة زوجة اما اللواتي شاهدناهن فعشر فقط . وهؤلاء النسوة واولادهن يعشن على قصب السكر الموجود بكثرة في الغابة . ولما طبخنا طعامنا قدمنا للناغابات فأكل ما قدمناه له بكل ارتياح وسرور لأنه يعدنا ارفع منه . وقبل ان ارخى الظلام سدوله جاءنا احد البرابرة وقادنا الى كوخ جديد وافهمنا ان نبيت فيه فشكرنا له اهتمامه بنا وعنايته لأنا كنا منهوكي القوى لفرط ما المَّ بنا من التعب ثم فرشنا بعض الأمتعة التي احضرناها معنا واضطجعنا خائري العزائم فساد السكون في القرية كلها غير اننا لم يغمض لنا جفن لكثرة الهواجس التي انتابتنا خوفا من غدر البرابرة بنا لذلك اقمنا الغلمان خفراء على التناوب ومع ذلك كله فلم نهجع الا قليلا وقبل الصباح استيقظنا وجسومنا متخدرة من صلابة ارض الكوخ .

صيدا　　　　　　　　　　　　　　اديب فرحات

هي الأيام

هي الأيام إن جمحت عنادا　　أذلت كل جبار عنيد
تنام وتطرق الاحداث يقظى　　ولوع الطيف بالركب الهجود



النيازك والرجوم

النيازك اجزاء هيولية خفيفة الوزن جدا واحدها نيزك وهي مؤلفة من الحديد والكربون وقد لاتخلو ليلة من دون نيزك يظهر وقد يبدو في الليلة الواحدة عدد وافر من النيازك وهي تدور حول الشمس بشكل اهليلجي واكثرها منفصلة عن النجوم المذنبة فالنيازك إذاً بقايا المذنبات . والرجوم واحدها رُجم وهي التي تسقط على الأرض كالحجارة ويسمع لها أَحيانا دوي كدوي المدافع وحين سقوطها تكون شديدة الحرارة وإن كان داخلها باردا ويقسم علماء الفلك هذه النيازك الى ثلاثة اقسام ١ النيزك أو الشهاب (ètaile filente) وهو الذي يبقى في الجو ٢ الكرة النارية (Bolide) وهي اقرب منه ٣ الحجر الجوي وهو ما يدعونه العرب رجما (Aèrolithe) وهو الذي يسقط الى الحضيض

دعانا إلى كتابة هذه الكلمة الموجزة عن النيازك ما ذكرته مجلة المشرق في العدد الأول من سنة ١٩٢٢ من أنه يوم السبت ختام سنة ١٩٢١ وذلك عند العصر أي الساعة الثالثة بعد الظهر سقط رجم ملتهب انفجر باحتكاكه في الهواء فسمع له صوت كمدفع قوي ووقعت منه قطعة كبيرة على جملون الكلية اليسوعية بحجم الإبريق فكسرت القرميد والجسر الذي يسنده وسقطت على الخشب الذي تحته فدخلت فيه وطار منها قطع صغرى حولها

وقد اخبرنا صديقنا توفيق افندي الجمال مأمور الديون العمومية في صيدا أنه في الوقت نفسه سمع دويا هائلا كما سمعه الكثيرون وظنوه مدفعا وبعد البحث تبين أن هذا الرجم ايضا اصاب الزاوية الشمالية الشرقية من قلعة البحر في صيدا وأسقطها الى البحر وبعث لنا المومى اليه مقالة مسهبة عن النيازك نلخصها بما يلي

منشأ هذه الشهب قطع صغيرة سحابية تنفصل عن بعض النجوم المذنبة ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة وتتكاثف وتكتسب صلابة بعد أن تكون غازية هوائية وهي تنتشر حول ذاك المذنب وتتخذ لها محركا خاصا حول الشمس على شكل الاكليل وحينما يقطع محرك الأرض ذلك الاكليل تتساقط في الجو شهبا ممطرة كما وقع في مذنبات كثيرة في سنين مختلفة واشارت لها الكتب المقدسة والمؤرخون ايضا ويكون ظهورها غالبا على اشده في العاشر الى الثالث عشر من شهر آب وترى كأنها خارجة من برج الأسد ومن الثاني عشر الى الرابع عشر من شهر تشرين الثاني في كل عام وترى كانها خارجة من برج الفارس فسبحان مبدع الأشياء الذي أحسن كل شيء خلقه

التربية والتعليم

التربية المدرسية

٣

مدرسة التهذيب ومدرسة التدريب

نقصد بمدرسة التهذيب المدرسة التي مع تلقينها العلوم تُعنى بتثقيف عقول الطلبة وتقويم المناّد من طباعهم لإصلاح حالهم . وبمدرسة التدريب المدرسة التي لا تقبل في عداد طلبتها الا من اتصف بالأخلاق الكريمة والطباع القويمة. وتعنى مع تلقينهم العلوم بتدريبهم على إنماء اخلاقهم الحسنة واستعمالها أفضل استعمال وعلى نوع اخص كيفية الإنتفاع بما لهم من المواهب . ولنتكلم عن كل واحدة من هاتين المدرستين بما يسمح المقام من التفصيل

(١) مدرسة التهذيب

إذا ذكرت المدرسة دون تقييد ينصرف الذهن الى هذا النوع أي مدرسة التهذيب العقلي والأدبي . ان هذه المدرسة تفتح ابوابها لكل طالب مهما كانت حاله وطباعه فتضم الصالح والطالح الحاذق والبليد على تباين الاشكال والأنواع والحالة هذه لا تخلو من حسن التأثير في طباع سيئي المبادي. . ولكن لا يظهر الفرق في حسن اخلاقهم لإدارة المدرسة كما يظهر لأهلهم عند رجوعهم الى البيت في الفرص المدرسية اعرف تلميذا شب متمردا على والدته الأرملة وكان يعيش كما توحي اليه الجهالة والطيش وكانت سياسته في المدرسة صعبة خصوصا أول مجيئه اليها فعومل بطول الأناة والحلم مع إسداء النصائح واحيانا بالشدة حسب مقتضى الظروف وكنا نود خروجه من المدرسة لعدم استعداده للإستفادة هذا فضلا عن أنه أنزل من صفه إلى صف ادنى وآخر السنة قصر في ذلك الصف الأدنى . فتلميذ هذه حاله وقد يئست المدرسة من اصلاحه ما ذا تنتظر منه ؟ اسمع ماذا عرفنا عنه . لما عاد في الفرصة الصغرى إلى البيت وجده اهله متغيرا كثيرا دمث الأخلاق لين العريكة فجعل بتغييره هذا اسما طيباً للمدرسة حتى جاءنا في نصف السنة المدرسية بعض التلامذة الذين أعيا اهلهم امر اصلاحهم فهذا يحملنا من وجه على توسيع الباب لقبول التلاميذ حتى سيئي الطباع منهم كما أنه

من وجه آخر يخشى أن فاسدي الأخلاق يتسرب شيء من فسادهم الى سليمي القلوب من التلاميذ البسطاء بمعاشرتهم اياهم لأن المعاشرة الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة وقد أرانا الإختبار حصول ضرر لبعض التلاميذ من معاشرة كهذه . ولذلك نحسب أن الموضوع يوجب الحيرة بين أن نقبل كل تلميذ ولو كان رديء الطباع متحملين هذه الصعوبة لئلا نغلق في وجهه أبواب التحسين وبين أن نرفض التلميذ الذي من هذا الصف وننقي المدرسة ممن على شاكلته . فإذا كانت غاية المدرسة تهذيب الأخلاق مع تهذيب العقل عليها أن لا ترفض طالباً . سمعت كلمة بهذا الشأن للدكتور دانيال بلس الرئيس الأول للجامعة الأميركية في بيروت أنه كان يقول وقتما تحكم عمدة المدرسة بطرد تلميذ إن هذا الحكم اقرار صريح بعجزنا عن اصلاح هذا التلميذ ولذلك اخرجناه خارجاً . ويباينه في هذا الرأي المربي المشهور الدكتور توماس ارنولد الإنكليزي الذي قال عقيب ابعاد بعض الطلبة من مدرسته (ليس من الضروري أن يوجد بالمدرسة ٤٠٠ طالب ولا مئة ولا خمسون ولكن من الضروري الاَّ يوجد فيها إلاَّ سادة مهذبون) فدحض بقوله هذا الرأي الذي كان سائدا في فرنسا وانكلترا (بأن المدارس تصلح الطبائع الفاسدة)

إني أرى نفسي بين هذين العاملين المتعاكسين غير قادر أن ابتَّ الحكم في ايهما افضل . إن الذمة تطلب مني لأجل سلامة المجموع المدرسي أن اخرج التلميذ المضر والذمة تطلب ايضا أن لا نحرم ذلك التلميذ وسائط الإصلاح اتباعاً لمثال المعلم العظيم الذي قال (ما جئت لأدعو ابرارا بل خطاة الى التوبة) وأن ابن الانسان جاء إلى العالم ليخلص ما قد هلك) . وفي وسط حيرتنا هذه نراعي احيانا هذا الجانب وأحيانا الجانب الآخر حسب ترجيح ظروف الأحوال .

ومن وجه مالي نجد أن المدرسة التي تعتمد في نفقاتها على مايؤديه التلاميذ فقط تحتاج الى توسيع باب الدخول للتلاميذ سدا لنفقاتها حذر العجز المالي الذي قد يؤدي الى تاخر المدرسة وإنحطاطها

(٢) مدرسة التدريب

هذه المدرسة ضرورية لتربية معلمين ومهذبين يستعان بهم على إصلاح غيرهم ومن الصواب أن يعوَّل في اعداد المعلمين على مدرسة من هذا النوع فالطالب في هذه المدرسة بعد أن يتمم دروسه العلمية يتلقى فيها دروساً تعليمية تبحث في فن التعليم

والتربية ومعرفة اخلاق الأحداث على اختلاف طبائعهم والتمرن عملياً على هذه الامور تحت مراقبة اساتذة ذوي خبرة . وهذا الفرع يدعى مدرسة اعداد المعلمين ويفضل من تخرج في مدارس كهذه على سواه في انتخاب المعلمين . إن مجرد المهارة ونيل الإمتياز في المعرفة العلمية لايؤهل الشخص دائما لأن يجلس على كرسي المعلم ولا يكون التعليم متقناً إلا اذا اختير المعلمون من الذين تخرجوا في مدارس من هذا النوع — إن امر التعليم مهم جدا نظير عمل الطبيب والصيدلي والمحامي والصانع فلماذا نحسب من مارس احدى هذه المهن دون استعداد خاص لها دجالا ولا نحسب من اتخذ التعليم مهنة وهو لم يتمرن في مدارسه الاعدادية دجالا وبأقل تقدير يلزم المعلم الجديد أن يمارس هذه المهنة سنتين أو ثلاثا تحت ملاحظة وانتقاد خبير حتى يمكنه تأدية هذة الخدمة حقها اذا كان لم يستعد لها في مدارس فن التعليم الخاصة

افيد ما اطلعت عليه في أمر التربية المدرسية ما ورد في مجلة المقتطف الزاهرة في المجلد ٥٨ عدد ٤ و٥ في مقالة التربية الإنكليزية)اذ يبسط الكلام عن اسلوب الدكتور توماس ارنولد المربي الشهير الذي ادخل تحسينا بينا بتعويله في انتخاب الطلبة على كرماء الاخلاق وحميدي المزايا وقد خرج من مدرسته رجال عظام خدموا الامة خدمات جزيلة جليلة . وكان لا يعتمد ولا يعتد بكثرة الطلبة كما سبق الكلام فيما مر عنه بل يهتم بمروءتهم وصدقهم وشجاعتهم وكرم اخلاقهم . وغير خاف أن مدرسة كهذه تدقق الى هذه الدرجة في اختيار طلبتها يلزمها رأس مال كبير لكي تجلب الفقير المستوفي الشروط ولو لم يدفع تمام الرسم المطلوب وتنفي الغني الموسر ولو دفع مضاعف الرسم المدرسي . وفضلا عن ذلك نلاحظ أن اولاد الفقراء والمتوسطين هم الذين في الغالب يعتمدون على ذواتهم ويبذلون غاية جهدهم ليؤهلوا انفسهم للمراكز السامية فيوجد بينهم عدد اكثر مما يوجد بين اولاد العظماء الأغنياء الذين يعتمدون على ميراثهم فينصرفون عن اكتساب المعارف والآداب الى التمتع بملاذ الصبوة دون حكمة ولا روية

صيدا نسيم الحلو

رئيس مدرسة الفنون الاميركية

المراسلة والمناظرة

هدية للانتقاد أو النقد اللغوي

٢

الشعر [١]

من محاسن شعر «العرفان» الذي يحق أن يجري مجرى الامثال وتتغنى به الركبان قول بعضهم

كثير محبوك الذين تجلدوا … واما الذي جارى هواك فواحد
دواوين هذا الشعر تغنى والهوى … هوى الروح ديوان من الشعر خالد

وقول الآخر

آه يا شرق كبا طرف العلى … بك مذ اعطيت للجهل الزماما
فمتى يا شرق يصحو غافل … أيقظ الغرب الى العلم ونامـا
لست ادري والليالي غرة … أعمى نالك ام رحت تعامى

وقول الآخر

بين الاضالع صخرة لكنها … مما جنى الاحباب ذات صدوع
قلب عليه تحالفت زمر الهوى … فمنيعها للذل غير منيع

وقول الآخر

احنّ اليه لا الى الغيد والمها … واهوى مغاني قطره لا غوانيه
واصبو الى مغناه اطلب مهجتي … ومذ بنت عن بغداد ابقيتها فيه

وقول الآخر

تنبه العقل للسلوى يحركني … فنبهت حركات الشوق اعصابي
لم ادر ما تهجي غير انكم … في اللحن لحني وفي الإعراب اعرابي

وقول الآخر

كلما حدثت عن نجم بدا … حدثتني النفس ان ذاك انا
امل اخشى عليه زمني … فلو اسطعت اطلت الزمنا
انما اشكو حياة كلها … تبعات كنت عنها في غنى
حسدوا الطير على تغريده … رب نوح خاله الغر غنا

وقول الآخر

قد فاز بالآمال طلابها … غداة لم يحلم بها الكاسل

---

(١) لا ارى مندوحة من ذكر بعض ابيات اعجبت بها ايما اعجاب ولا يضر تكرار نشرها بل يفيد ويهيئها للحفظ ويعد الى الاذهان جودة مبانيها ودقة معانيها

إن المقادير لها آخر ولجة العزم لها ساحل

وقول الآخر
أيثنيكم عن سباق العلى مسارح لهو ونادي طرب
وتلك مواطنكم تستغيث بكم بين ايدي الاعادي سلب
فأين الإباء إباء الجدود واين الحفاظ حفاظ الحسب
قضوا بعد ما قد قضوا للعلى حقوقا وأدوا لها ما وجب

وقول الآخر
أفق ياشرق ويحك من سباتك وثر بالبيض مرهفة فواتك
ودع حمر النجيع وان توالت عليك الشوس يقطر من قناتك
ومت تحت الوشيج عزيز قوم فموتك فيه خير من حياتك

وقول الآخر
واذا راح ناظري لمرأى امهات الإبداع والإجلال
قلت عودي الى الحقيقة يا نفس اذا ما طلبت خير مآل
وانظري كم خلت شعوب عظام عرفت في عظائم الاعمال
تلك آثارها اجل مثال وجليل الآثار خير مثال

الا انه نصب (ناظري) وهي مرفوعة (ناظر اي) وقد تكون من اغلاط الطبع

واما قول احدهم
تفاهمتا عيني وعينك لحظة وادركتا ان القلوب شواهد
اذا لم تجد في ظاهر الرأي علتي اما ادتا عيناي ما انا واجد

فقد اضمر قبل الذكر في «تفاهمتا وادتا» على لغة اكلوني البراغيث وهي مهجورة ولكن معنى البيتين بديع يشفع بهما — ولو قال: اما ادت العينان ما انا واجد — لما بقي على البيت الثاني غبار

وقول الآخر
قادك الجهل لضيم منهك وقرين الجهل احرى ان يضاما
اترى عيني ترى الشرق له هِمَماً تعلو على النجم مقاما

ولو قال (ناهك) بدل منهك (وهمم) بدل هِمَما لكان اصح

وقول الآخر
ما انصفت فيه الطبيعة حبها لما دعا للشوق غير سميع
ايقنت مرآة السماء صقيلة لما انعكسن الشهب وهي دموعي

في (انعكسن) ما في (تفاهمتا) وقد نبه اليها صاحب العرفان

وقول الآخر
أفدي التي لو اسدلت اكمامها لرأيت شمسا حجبت بغمام
يزداد زر الورد في اكمامه حسنا ففاقته بلا اكمام

لو قال «سبلت» بدل اسدلت لكان اولى لانه يقال (سدل) الثلاثي (واسبل) الرباعي وهو الافصح

وقول الآخر انا شاعر في سوء حظي ليتني عفت القريض ولم اكن بالشاعر
قد وظفوني للبيوت محـررا فبليت في تسويد وجه دفاتري

والصواب: انا شاعر بسوء حظي – وبليت بتسويد – لأن الباء تقوم مقام في ولا يعكس –وكلمة محرر بمعنى كاتب خطأ ايضا

وقول الآخر فما انت يا بيروت الا ذبالة قلوب البرايافوق مغناك حوم
فإن بها بحر وبدر هداية كواكب فضل فيه حفت وانجم

والصواب «بحرا» بالنصب اسم ان «وحفت به» لا فيه ولو استعمل «منارة» بدل ذبالة لكان ادل على المعنى وابعد عن الإلتباس

وقول الآخر قلبي يريد بلا غبٍّ زيارتكم والعقل ينهاه الا بعد اغبـاب
ما أنت ممن يريد الحب فلسفة ياقلب ذات براهـين واسباب

الفصل بين النعت والمنعوت بالمنادى ضعيف ولو قال
ياقلب ما أنت ممن رام فلسفةً في الحب ذات براهين واسباب
لكان أصح وقول الآخر

بات يرعى الشهب مضنىً جالباً سهراً راق لـه وهـو ضنى
أنت ياآمال قـد عاهدتـني بالوفـا لا لاتخـوني عهدنا
اترى الأنجم طراً تشتكي ذا ام الآلام خصت نجمنا

يقال « راقه « أي اعجبه لا راق له – ولو قال «طاب له» لصح – وجعل «نا» ضمير المتكلمين في « عهدناونجمنا» رويًّامع النون الأصلية في «ضنى» فيه نظر . . .
وقول الآخر

قد اعذر الدهر الى اهله فليرعو عن عذله العاذل
لست من الاحياء لكنما بالحق فيك شبه الباطل

لو قال «فليرتدع» بدل فليرعو لصح الوزن واللغة معاً – وقد استعمل «الطي» في مستفعلن الأولى «والخبن» في مستفعلن الثانية في البيت الثاني – وهو ضعيف في البحر السريع والمشهور فيه العكس اي خبن الأولى وطيّ الثانية (كما ترى في سائر القصيدة) وقول الآخر

تعيش بحق نفسك مستخفاً ولم تدر صَلاتك من صِلاتك
زعمت بأن علمك خير علم بخيلك اذ تفاخر ام بشاتك

الا فاجهد مطالعةً ودرساً بها فالعلم يصبح من صفاتك
حدا فيك الهوان بكل فج الا فاحذر لنفسك من حداتك

لو قال «لم تعلم» بدل ولم تدر — لصح الوزن واللغة معاً ويقتضي حذف الباء من «بأن» ولا يقاس على ما سمع منه شذوذاً عن العرب «ودرساً لها» عوض (بها) وحداك عوض (حدافيك) أي ساقك ودفعك . والله اعلم .

وربَّ معترض يقول : أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في النثر — والجواب : ان الجوازات الشعرية معروفة وكلما خلا الشعر منها كان ادق وأرقى وادلَّ على مكانة الناظم وتضلعه من اصول اللغة والعروض

ولابد من القول أن النقد شيء والنظم شيء آخر — ولقد يكلف الناقد أن ينظم قصيدة او بيتا مما انتقده فيتولاه العجز — لذلك لا يعد النقد دليل التفوُّق

وإني ارغب الى صاحب العرفان والى كبار العلماء والشعراء أن يلقُوا لِقِي في هذه المباحث اللغوية وان يتعهدوا كل ما أنشره بالنظر الدقيق الحقيق والسلام على من رعى عهد اللغة العربية وعرف انها عماد الوطنية ورابطة القومية ومثال الفصاحة والبلاغة في اللغات الحية

«غلطة مفيدة» جاءت كلمة (صاحب المعارف) بدل صاحب العرفان شاهدا عند قولي «اما جريرتي ففي عنق صاحب المعارف» في رسالتي الاولى بالنظر لتقارب الكلمتين لفظا ومعنى فاستفاد من هذا الخطأ صاحبا المجلتين : الاول بنيله شكر (العرفان) والثاني بالقاء تبعة النقد على صاحب المعارف

بيروت ابرهيم منذر

العرفان

نشكر للإستاذ المنذر غيرته على اللغة العربية الشريفة ونرغب اليه متابعة هذا البحث المفيد وقد اتانا بعض ملاحظات على انتقاداته ربما نشرنا المهم منها في عدد قادم

الصّحة وتدبير المنزل

كيف نعيش مائة سنة

يجدُ العلماء في البحث عن سر هذه الحياة ويصلون الليل بالنهار تنقيبا واختبارا توصلا الى هذا اللغز المعمى ولم يظفروا منه بقلامة ظفر وقد طمحت نفوس بعضهم الى البحث عن الخلود زاعمين ان الانسان يستطيع ان يعمر ما شاء من السنين. وقد اعتدلت فئة منهم فاخذت تبحث عن الوسائل التي تطيل حياة الانسان وتضاربت اقوال العلماء في تقدير معدل عمر الانسان وهي تختلف باختلاف البلدان والوسائط الصحية المتبعة وتتراوح اليوم بين ٤٥ — ٥٠ سنة و كانت ٣٠ سنة في اواخر القرن الثامن عشر

وجد العلماء ان ٤ بالمائة يبلغون سن ٦٥ و ٣ بالالف سن ٩٥ وهم يقولون ان للإنسان حقا طبيعيا بان يعيش مائة سنة وقد نشر الدكتور جون هوبرله وهومن ابناء بجدة هذا الموضوع مقالة فريدة في مجلة العلم العام الاميركية فلخصتها للقراء لما فيها من الفوائد التي يجب ان تنقش في صدر كل من تهمه صحته وحياته

يقول العلماء ان لكل انسان حقا بان يعيش مائة سنة. ومن رأي العلامة بيفون وكثيرون غيره انه يجب ان يعيش خمسة عقود فلماذا نموت قبل المائة وما هي الوسائط التي تجعلنا ان نبلغ هذا العمر ؟ ان اعظم الوسائل الموصلة الى هذه الغاية لابل اساس اطالة العمر هو (الاعتدال) وهذه الكلمة اجل كلمة وجدت في اي قاموس كان ويليها السعادة فالسرور مجلبة لحب الحياة «وحب الحياة نصف الصحة» وبالعكس الحزن والكآبة يقربان الاجل. إن بيفون وغيره من اساطين العلماء يعتقدون ان طول العمر لا يتوقف على كيفية حياة الانسان بل على الوراثة القومية (الجنسية) وقد ايدت ابحاث الوراثة الحديثة هذا الرأي

ولسنا الآن في صدد البحث عن بلوغ المرء المائة وبقائه حيًا الى هذا السن بل بيت القصيد ان يبلغ هذا العمر وقواه العقلية والجسدية كأنها في ريعان الصبا وشرخ الشباب والقوى الكامنة فيه وهو ابن مائة كالقوى التي كانت كامنة فيه منذ مائة وان ينقل هذه الصفة بالوراثة المتسلسلة الى اولاده واولاد اولاده حتى الجيل الثالث. نريد ان تتوفر في نسلنا عند سن المائة حكمة الشيوخ وهمة الشبان. ونعتقد ان السلم

والسعادة والنجاح تزداد بزيادة السنين التي نتمتع فيها بالعمل والنشاط والتعلم والخدمة

وسأذكر القواعد التي تؤهل الانسان ليعيش اكثر من معدل العمر المعروف وهو بنشاطه وقواه الطبيعية

١ الاستحمام يوميا بالماء البارد . عود نفسك على الاستحمام بالماء البارد اثناء الصيف كي لا يضرك في الشتاء وليكن محل الحمام دافئا

٢ كل ببطء وامضغ الطعام مضغا جيدا وحافظ على نظافة اسنانك واحذر من تسرب الفساد اليها . كل ثلاث مرات يوميا أكلا معتدلا ولا تأكل بين الاكلة والاخرى . الاثمار والخضر من المآكل الجيدة فكل منها بكثرة . كل لحما مرة في اليوم مع بيضتين . الجبن خير عوض عن اللحم . اشرب ستة اقداح ماء على الاقل كل اربعة وعشرين ساعة

٣ عرض نفسك لنور الشمس قدر المستطاع وتجنب الغبار والرطوبة والهواء الفاسد

٤ نم ثماني ساعات . يجب ان ينام الطاعنون بالسن والنساء مهما كانت اعمارهم ساعة بعد الغذاء

٥ البس ثيابا واسعة خفيفة يتخللها الهواء . ولا تلبس اكثر من اللازم لحفظ حرارة جسمك

٦ احفظ قدميك دافئتين وناشفتين والبس حذاء منيعا لا تتسرب اليه الماء . ولا الرطوبة

٧ لا تدخن وإن لم تتمكن فلا تفعل ذلك قبل سن الواحد والعشرين . ولينبذ النساء هذه العادة ظهريا . لا يجوز استعمال المشروبات الروحية الا نادراً . ولا يحتاجها إلا المسنون والضعفاء فيجب أن يستعملوها باعتدال

٨ ليبق غير المتزوج (الاعزب) على عفته فإنها تزيد قواه العقلية والجسدية واحرى به أن يتزوج بسن الواحد والعشرين إن امكن

٩ اشتغل وانبسط ولكن باعتدال . استقبل المصائب والمصاعب برباطة جأش وطيبة نفس

١٠ الهواء النقي مجلبة للدم النقي عش في الخلاء إن امكن فالهواء النقي مطهر طبيعي يفوق كل المطهرات وكلما اكثرت الإقامة في الهواء المطلق ازداد هضمك . إن الصحة والعافية تتوقفان على الهواء النقي وهو عامل كبير في تقوية مناعة الجسم الطبيعية وحفظه من الامراض والعلل فاقض جل اوقاتك في الهواء المطلق واستعمل الرياضة على الدوام ومن احسنها المشي ولا تخف من رداءة الجو (الطقس) فلا يوجد جو رديء بل تختلف درجات جودته . قف وامش منتصبا

١١ اجتنب التسمم وتسرب العدوى اليك بحفظ انفك وحلقك وفمك واسنانك ولثتك نظيفة . وانزع مركز كل عدوى من جسدك

١٢ الألم نذير الخطر فلا تهمل انذاره وابحث عن سببه بل اعرض نفسك على الطبيب ليعرف السبب ويزيله بالمعالجة القانونية . وافحص نفسك مرة بالسنة على الأقل عل فيك اعراضا خفية يظهرها الطبيب

١٣ تنشأ بعض العلل من شدة الحرارة المستعملة للتدفئة بواسطة النار او غيرها ومن منع الهواء المطلق فافتح نوافذ البيت على الدوام صيفاً شتاءً ولتكن حرارة غرفة النوم كحرارة الخلاء ومتى عودت نفسك على فتح النوافذ بالخريف تتمكن من فتحها اثناء الشتاء دون ان تصاب باذى

١٤ نم باكراً وانهض باكراً واشتغل دائما بين هذين الوقتين

١٥ اعتن بجسدك . الماء والخبز يحفظان الحياة ولكن الهواء النقي ونور الشمس ضروريان للصحة

١٦ التقشف والاعتدال يكفلان طول الحياة

١٧ النظافة تمنع الصدأ فالادوات التي تعتني بها تبقى اكثر من المهملة

١٨ الراحة الضرورية تجدد القوى وتورث النشاط والراحة الكثيرة تضعف وتنشىء الخمول

١٩ اللباس الجيد هو الذي يحفظ حرارة الجسم ويمنع عنه تأثير تغيرات الجو الفجائية ولا يضايق الجسم في حركاته

٢٠ يستريح العقل وتجدد قواه بالراحة والملاهي واذا بالغ المرء فيها يفسح مجالا للشهوات النفسية التي تؤول الى الرذائل

٢١ الاعتدال في الشغل والرياضة يمنعان التسمم الذاتي الذي يتعرض له الشيوخ خاصة تسمم الكليتين وهو (الاعتدال) يحسن حالتهم العقلية ويصرفهم عن التفكر بشيخوختهم وفي كثير من الأحوال تفيدهم الدراهم التي تسد حاجتهم اكثر من الادوية ومن احسن الملاهي الموسيقى فالموسيقى ذات الصوت الجميل تنتقل بواسطه الأذن الى الدماغ حيث مركز السمع ومنه ترسل الى الجهاز العصبي الذي يدير حركات القلب والرئتين والمعدة واكثر اعضاء الجسم وليست الموسيقى رياضة للنفس فقط بل تزيد قابلية الجسم للغذاء فتساعد على الهضم وتسرع الدورة الدموية وتجعل اعضاء الجسم باحسن انتظام

٢٢ كل عمل يدوي تسلية مفيدة فتفنن بالاشغال اليدوية وليكن همك في كل اشغالك طلب اكسير الحياة (العمر الطويل)

٢٣ انتبه الى المراكز الخطرة في جسمك وحافظ عليها اشد المحافظة فالجسم كالآلة اذا طرأ عطل على بعضها اصبحت الآلة كلها معرضة للخطر : الجراثيم تصادف مرعى خصبا في مراكز الجسم الضعيفة فتنمو وتكثر وتصير مصدرا للامراض والعلل . وتنشأ هذه المراكز الضعيفة من سكنى المحلات غير الصحية والافراط في الشغل والسهر والملذات والتعرض لمجاري الهواء العقلي والتعب العقلي فتسري المكروبات من هذه المراكز بواسطة الدم والمجاري اللمفاوية الى سائر انحاء الجسم ولهذا السبب يجب ان تعرض نفسك على الطبيب مرة في السنة ليكشف ما استتر من العلل في جسمك

وقد وجد الأطباء بان اهم المراكز التي تعشش فيها الجراثيم وتكون سبباً في تقصير حياة المرء هي الاسنان المسوسة واللثة وبنات الاذن العليلة والانوف والحلاقيم المعرضة للرشح وامراض الاذن الوسطى والمرارة والزائدة فلا تهمل امر عضو من هذه الاعضاء لأنها قد تكون سببا في جلب مرض عضال الى الجسم وتقصير حياة المرء

صيدا (الطبيب) شريف عسيران

فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع

العرفان هديه — اهداها العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين الى نجله السيد محمد علي في الكاظمية واهداها العالم الفاضل الشيخ محمد امين شمس الدين إلى السيد محمود مرتضى معلم مدرسة قانا

هذا الجزء — صدر في اواخر جمادى الأولى وضاق نطاقه عن كثير من الأبواب ومنها اهم الأخبار واهمها سقوط وزارة بريان الفرنساوية وحلول وزارة بونكاره محلها ووفاة قداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر فسبحان الحي الذي لا يموت